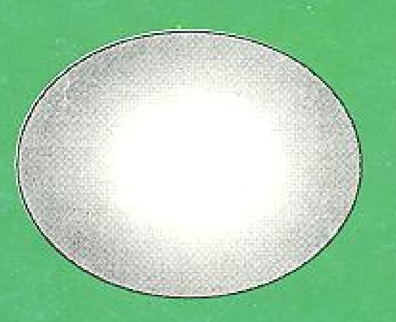
العلاقات السودانيّة الأمريكيّة

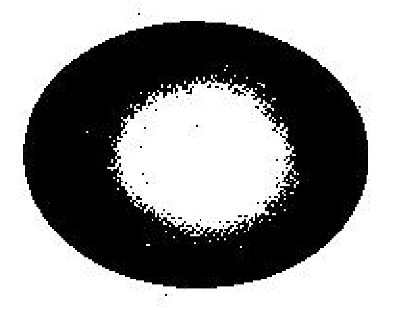
(بين مد المصلحة وجزر الحضارة)



الأستاذة : سناء حمد العوض

المركز القومي للإنتاج الإعلامي



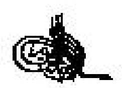




الناشر : المركز القومي للإنتاج الإعلامي

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م
الطبعة الأولى
رقم الإيداع (٩٨/٣٢)

المركز القومي للإنتاج الإعلامي
الخرطوم - ص.ب: ٣٩٢٦
هاتف: ٧٨٢٨٤٥ - ٧٨٢٨٤٦ - ٧٨٢٨٤٨



للآخرين علينا يد وفضل ... و حق ...
للقابضين على الجمر لسنوات بلا كلل من شيوخنا ... "فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا" ...
إلى الشهداء الشامخين ... ورفقة الدرب من نجيمات جامعة الخرطوم ومسجدها الشاهد...
الذين أبت السماء إلا أن تتزين بهم...نحن نفهم حقيقة التحدي ونعيه ... فلا يشغلنكم النعيم في حواصل الطير الخضر حول العرش عنّا ...
إلى أمي... وروح ذلك الجسد المسجى ولكنه ينبض بالقيم ...إليك أبي .
وبقي لمن يحرضني ويعينني ويحمل عني الكثير... إلى زوجي الفاضل.... هيثم بابكر يوسف.
وأخيراً لأهل الفضل في المركز القومي للإنتاج الإعلامي مع رجاء أن تتواصل جهودهم التحويلية لثقافتنا وفكرنا من الشفاه والمنابر إلى المداد والورق...
لهؤلاء جميعا أهدى جهدي المتواضع عساه يكون محل رضى وقبول ......

سناء

المقدمـــة:-

بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي فى أواخر عقد الثمانينات من هذا القرن وبداية التسعينات .. برزت الولايات المتحدة كقوة نافذ وحيدة .. عملت على وراثة مناطق النفوذ السوفيتي السابقة وإخضاع كل القوى السياسية التى كانت تناور وتتحرك على هامش الخلاف والصراع بين القطبين الأعظم .

وإبان الحرب الباردة استخدمت الولايات المتحدة أسلوب الترغيب عبر المعونات الاقتصادية والقروض المالية والقواعد العسكرية، وبعد كسبها لمعركتها مع الاتحاد السوفيتي ، الذى هزم عبر جره للدخول فى سباق التسلح، حيث استنفذ ميزانيته وقضى على اقتصاده المنهك واثر على المنظومة الاشتراكية تلقائيا..

بعد خلو الساحة وانفراد الولايات المتحدة بالعالم برزت فكرة خلق نظام عالم جديد أحادى القطبية محوره الولايات المتحدة يتحرك ويتفاعل حسب شروط وقوانين اللعبة الأمريكية، ويستخدم منهاج الضغط والترهيب والاستنزاف فى التعامل الدولى. ولم يكن النظام العالمي الجديد كفكرة وليد لحظة الانهيار السوفيتي والمنظومة الاشتراكية ولكنه تصورات وخطط أعدتها الإدارة الأمريكية منذ سنوات عديدة ويعتبر" هنرى كسنجر" وزير الخارجية الأمريكية فى عهد الرئيس

الأمريكي" ريتشارد نيكسون" من المساهمين البارزين في وضع اللّبنات الأولى لها .

النظام العالمي ومعركة الحضارة:

ترسّخت لدى الأمريكيين قناعة أن الحضارة المبنية على القوة هي منتهى الحضارة، وان ما وصلت إليه بلادهم هو خاتمة الحضارات الإنسانية إذ لا يعقل أن تكون هناك حضارة اعظم ولا اكثر تطورا منها و بإنجلاء مرحلة الحرب الباردة عن هزيمة الفكر الاشتراكي الماركسي، وقبلها انطفاء لهيب الجنس الأصفر بخروجه من عزلته ، اعتمد الأمريكيون معادلة تحتفظ بموجبها الولايات المتحدة بقوتها الاقتصادية وسيطرتها على نظام السوق الحُر.. وأنها مهوى أفئدة الحالمين بالنعيم من أهل الأرض ، بإعتبارها مازالت الدنيا الجديدة .. وتحقُق هذا الشرط يحتّم عليها الحفاظ على مصادر القوة الاقتصادية، وضمان تـدفُق المواد الخام المحرّكة للصناعة وأُسّها الطاقة التي يمثل الشرق الأوسط وقلبه العالم العربي أكبر منتجيها ومصدّريها.

طرف معادلة البقاء الآخر بعد انحسار الشيوعية أنه لا منافس للحضارة الغربية ذات الأصول (المسيحية - اليهودية) والنمط الاقتصادي الرأسمالي الذي تترعمه الولايات المتحدة من حيث الافكار العقائدية إلا الدين **الإسلامي**.. الذى ولتدبير إلهي كان

الشرق الأوسط هو منطلقه فهو قبلة المسلمين، لذا حرص الغرب وأمريكا على السّيطرة على هذه المنطقة .

في عام ١٩٧٩ قامت الثورة الإيرانية وحكم آيات[1] الله إيران ، وسقطت الإمبراطورية الساسانية وحكومة الشاه" رضا بهلوى " الذى عُرف بانه شرطي المنطقة والحليف الإستراتيجي لأمريكا وإسرائيل بالمنطقة، و قيام الثورة الإيرانية كان نقلة نوعيه وفكرية للحركات الإسلامية عامة ، وشكل ضربة للمخططات الساعية لابعاد الإسلام عن الحكم..وهنا تضاعفت خشية الولايات المتحدة من الخطر الإسلامي الذى يختلف كما قال" الرئيس نيكسون" عن الخطر الأصفر الذى تم احتواءه لانه يقوم على أسس عِرقية وتقاليد، ويختلف عن الخطر الشيوعي إذ أن الاشتراكيين محسوبين على الحضارة المسيحية ،ولكن الإسلام حضارة مشبعة بروح الندية، وديانة قامت على كونها خاتمة ومكّملة لما سبق، وأمة حكمت العالم من قبل والى حين قريب، كانت منبع الحضارة وأساس النهضة التى تملك دوماً مقوماتها.

---

[1] الآيات – جمع منصب ديني – معروف عند الشيعة بآية الله ، وهو اعلى الألقاب الدينية لعلماء الشيعة ، ومن اشهرهم آية الله الخميني

من هنا نقول أن معركة الغرب وأمريكا في المقدمة مع الإسلام ليست من أجل مناطق النفوذ أو سباق التسلح كما كان شأنها في سابق الحروبات ،ولكنها ترى فيه صراعاً للحضارات كما يقول "صمويل هنتجون"، بين حضارة تظن أنها منتهى الحضارات تقوم على منطق السلطة والقوة وتفاخر بالتطور التكنولوجي والإعجاز العلمي كما يظهر في أفكار ومخطوطات كتّابها ومفكريها، وابرزهم" فوكوياما" في كتابه "نهاية التاريخ " حيث قال فيه بأن حضارة الولايات المتحدة هي نهاية الحضارة وحدود العقل البشري ، وبين حضارة تُوقن أنها أرقى الحضارات وخاتمة الرّسالات، تقوم على منطق العدل والحق وتُفاخر بإرثها الروحي ، ولكنها تعيش وتتغذى على تاريخها وأمجادها السابقة ،ومؤخراً بدأت تدب في بعض أجزائها روح الحياة والتطلع للعودة الى سُدة العالم ..

ظهر الحرص الأمريكي على خنق تلك الأنفاس وقتل تلك الافكار ، التي بدأت تحيا ووأد النماذج التي ظهرت ، كان لابد من هذه المداخلة الابتدائية التي احسب أنها وإن طالت إلا أنها ضرورية لفهم ماذا تريد الولايات المتحدة والغرب وإسرائيل من السودان الآن، وهي ضروريّة حتى تستوعب ما يحدث في الساحة السودانية خاصة

والعربية عامة من ضرب لصوت الإسلام وقتل لأهله ومحاربة لفكره وليس طقوسه .

وهى ضرورية حتى نوقن أن قيام الحضارة أى حضارة يواجه بتحديات جسام وتراق فيها دماء كثر وتنفق لاجلها موارد عظام ، فبروز الحضارة الغربية الحديثة مثلاً وانتقال أوربا من القرون الوسطى لما هى عليه الآن كان بعد مخاض عسير سالت فيها الدماء وعاشت لحظات مخاض كبرى وسنوات متطاولات من الحروب حتى استقرت فى القرن الثامن عشر . . .

ثم أن بروز نظام جديد فى العالم كذلك لم يكن سهلاً بل عبر معارك عظيمة فشهد عام (١٩١٤) الحرب العظمى الأولى، ثم أخذ العالم شكله المتطور المعايش بعد الحرب العظمى الثانية فى (١٩٤٥)عندما برز نظام توازن القوى القائم على ثنائية الأقطاب .

ولاجل أن تبرز حضارة جديدة أو تبعث من مواتها وسباتها، فسنة الله أن يكون المخاض عسيراً وتتفاوت درجات العُسر ..وكان حديثنا لازمًا حتى نقول أن سنة الله " ولن تجد لسنة الله تبديلا " قضت بأن الأيام دول بين الناس «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهُدمت صوامع وبيَع وصلوات ومساجد

يذكر فيها اسم الله ﴾[1] ومقتضى هذه السنة التي لها من شـواهد التاريخ عبر وامثال كثيرة ، كروما يوليوس قيصر ونـيرون ، فـارس كسرى انوشروان.. وقبلهم الآشوريون وقورش وحمـورابي الـذى نزلت فيه الآية ﴿ الم تر الى الذي حآج إبراهيم فى ربه أن أتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحي ويميت ، قال أنا أحيى وأميت* قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر، والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾[2]

وكذلك فرعون موسى ﴿ وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري.. ﴾[3] وهو القـــائل :﴿ أنا ربكـم الأعلى ﴾[4]... والأمثـــلة كثر ولكن ذكـــرنا هـــذا من باب وليطمئن قلبي ... فالأيام دول.. وبقاء النظام الأحادي بقيادة الولايات المتحدة ممـا يتعارض مع سنة الله والشواهد.. وفى النهاية لا يصح إلا الصحيح.

---

[1] الآية (٤٠) من سورة الحج

[2] الآية (٢٥٨) من سورة البقرة

[3] الآية (٣٨) من سورة القصص

[4] الآية (٢٤)من سورة الذاريات

في ظل هذه المعطيات نريد أن ننظر للسودان الآن ومشـــروعه الحضاري الساعي لدولة مسلمة الحاكمية فيها لله بعد مئات السنين من انتهاء أخر نموذج للدولة الإسلامية،وفي ظلها تنادي بفــــهم الموقـــف الغـــربي والأمريكي والتعامل معــــه عبر جوهر الامور وحقائقـــها وليس غير..

الولايات المتحدة وإسرائيـــل:

ذكرنا أن أول أنموذج حديث كان الثورة الإيرانية (١٩٧٩) ولقـــد جوبهت بالعداء الغربي والأمريكي والإسرائيلي والعربي السني خاصة من دول الخليج ومصر، التي بعد "اتفاقية كامب ديفيد "بصورة خاصة كان لديها علاقات متميزة مع إيران الشاه، وهذا يتطابق مع الموقف مــــن السودان الآن.. فرغم العداء الأمريكي من إيران وثورتها إلا أن الخشيـــة منها لم تكن بمستوى الخشية من السودان، إيران حقيقة اقتصادها أكثر قوة من السودان ولها موارد معروفة ومستقلة ونعني لها البترول..

وبنياتها التحتية مؤسسة بصورة جيدة.. ومتطورة في مجـــالات السلاح والعتاد ولها كثافة سكانية ضمنت وجود قوات مقدرة العـــدد واحتياطي قوات مقدر..

وهذا كله لا يتوفر بالسودان .. حيث إنعدام البنيات الأساسية في الصناعات الثقيلة والتكنولوجيا ومقوماتها من الطرق والخدمـــــات

وغيرها.. وإنعدام الموارد المستقلة كالبترول والذهب ..الخ رغم وجودها. ويعاني السودان كذلك من التمزق الداخلي بسبب النزاعات القبلية والحروب الانفصالية.. وقلة السكان النسبية مع مساحة الأرض واتساع الحدود ومن ثم ضعف الجيش والعتاد ..

ولكن هناك عوامل أخرى هي اكثر خطرا لدى العقول المناوئة للإسلام التي ترى أن إيران تلتزم المذهب الشيعي في محيط سني ،وفارسية قرب محيط عربي ، وهي بعيدة جغرافيا إذ أنها بجوار العالم العربي وليس ضمن حدوده الجغرافية ،عكس السودان الذي هو سني المذهب، عربي اللسان ،قريب من قلب العالم العربي يعيش العديد من أهله في مناطق الخليج والدول الإسلامية الأخرى، وهو شعب هجين بين العروبة والزنجية ،وللأمريكان رأي يقول بأن(الهجين أفضل من الأصل) وينسب الأمريكيون تفوقهم لهذه الميزة فهم محصلة للأوربيين و الهنود والأفارقة وخليط من جنسيات أخرى .

كما أن السودان يمتاز بموقعه كجسر رابط بين القومية العربية والزنجية، وبين العالم العربي والقارة الأفريقية السمراء.. وأهم من ذلك أنه بوابة الإسلام لأفريقيا بوثنيتها وروحانيتها و المسيحية الهشة فيها ..

فاشتداد عود الإسلام

السياسي خـــــارج نطـــــاق الطقـــوس فى السودان يعنى أنموذجا للدولة يتطلع المسلمون لتحقيقها ، ونجـــــاح السودان يعنى التغلغل فى مناطق النفوذ الغربى فى أفريـــقيا والتى تـــعد أكبر إحتياطى للمواد الخام واحد أهم مواقع الانتشار والتنافس الكنسي.

وعرف عن الإسلاميين كراهيتهم للدور الاميريكى ووصفـــهم لها بأنها الشيطان الأكبر، وفهمهم للوجود الإسرائيلي مـــــن المنظـــار العقائدي دون غيره، باعتبار أن ما يحدث فى القدس مثلاً هو حـــــرب ديانات تحسم بالعدل واحترام الآخر أو بالقوة، وهم يرفضون الصلـــح مع اليهود أو الثقة بهم و التعاون معهم انطلاقا من مرجعية دينية تقـــول

﴿ ولـــن تـــرضى عنـــك الـــيهود ولا النصـــارى حتـــى تتبـــع ملتـــهم ﴾[1]

﴿ ولتجـــدن اشـــد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾[2]

ونجاح السودان بموقعه الجغرافي ومساندته من قبل الحركـــات الإسلامية يعنى إنتقال الفكرة إلى خارج حدوده وإغـــــراء الأنمـــوذج لآخرين ،وهذا فيه تهديد للمصالح الأمريكية والغربية وإخلال بالمعادلة التى قلنا أنها تقوم على المصالح الاقتصادية والتفوق الحضاري وحصـــر الإسلام..

---

[1] الآية (١٢٠) من سورة البقرة

[2] الآية (٨٢) من سورة المائدة

لذلك بدأ العداء الأمريكي للسودان ليس من يونيـو **١٩٨٩** ولكن منذ سبتمبر **١٩٨٣** بإعـلان" جعفر نميري" لقوانين الشـريعة الإسلامية حيث كان التدخل الاميركي المباشر **لتعطيلها عبر** الزيـارة المفاجئة لنائب الرئيس الاميركي والتي كان **الغطاء المعلن لها هو تفقـد** المتضررين بالمجاعة .. والوثائق التالية نتابع من **خلالها مراحل المجابهـة** والعداء وتطوراتها حتى يومنا هذا !!

الفصل الأول

أمريكا
والنظام العالمي

- النظام العالمي الجديد
- أمريكا والنظام العالمي الجديد
- العـــالم والقـــيادة الأمـــريكية
- السودان والولايات المتحدة الأمريكية

بسم الله الرحمن الرحيم

النظام العالمي :

ونعني به الشكل العام المحدد للعلاقات الدولية وما ينتج عنه من أوضاع تتحكم في توزيع القوى والثروة في العالم .. وهو شكل له منطلقاته الفكرية والأخلاقية التي يسعى لبسطها عبر ما يملك من نفوذ وقوة ودوما ما يقدم نفسه للآخرين عبر مثالات براقة هي باختلاف الأشكال المطروحة تنحصر في دعوات الحق والعدل .. بسط الأمن والسلام .. !!

ومنذ أن برزت العلوم السياسية بوصفها علما حديثا ومعاصرا ، اهتمت كثيرا بدراسة الأنظمة العالمية والقواعد التي أسست عليها ... ولقد كانت المرحلة المبتدئة بالحرب العالمية الأولى وحتى وقتنا الراهن هي إحدى أخصب المجالات الدراسية والبحثية لقربها الزمني النسبي في المقام الأول ولوضوح الشكل المتحكم فيها إذ أنه بني على معاهدات وبنود حاكمة ملزمة ...

ونحن حينما نتحدث عن النظام العالمي لا يسعنا إلا أن نبدأ بتلك المرحلة .. لفهم التطورات المتعاقبة الموصلة للنظام العالمي الراهن .

لقد بدأ النظـــام العالمي بصفته السابقـــة بعد الحرب العالمية الأولى و تميز بتعـــددية الأقطاب ،و أقيم على فلسفة تقول أنه كلمـــا زادت الأقطاب ومراكز القوى كلما زادت طرديا مساحات العدالـــة وفرص السلام والأمن الدوليين ، وكان من أبرز ملامحه **عصبة الأمـــم** باعتبارها شكل لمنبر رأى عالمي ... ومهوى تصب فيه المظلمات بـــين الـــــدول ولكن سرعان ما ثبت فشل ذلك النظام بقيـــام الحـــرب العالمية الثانية في نهاية العقـــــد الثالـث من القرن العشـــرين وأوائـــل العقد الرابع منه ... وكان السبب الرئيسي في نشوئها التنافس بـــين القوى العظمـــــى وضعف عصبة الأمم وعجزها .

وبخروج أوربا واليابان باقتصاديات مدمرة وهزيمتها عسكريا وعـــــدم وجود أفريقيا أو الدول الإسلامية في ســـــاحة التنـــافس الدولي أصلا ، برزت القوتان المنتصرتان (روسيا و أميركا)تلقائيـــا كقطبين لهما الأحقية إضافة للمقدرة على صنع النظام الحاكم دوليـــا وتوزيع الأدوار فيما بينهما ، وفعليا وبمقاييس القوة والمقدرة كـــانت مـــلامح ذلك النظام قد تحددت وتكونت فالدولتين الأعظم و بفضل الوضعية الناتجة عن الحرب هـــــا اللتان ستشكلان النسق العالمي الجديد الذي يقـــــوم على القطبية الثنائية ولأن بروزه كنظام كان نتيجة للحـــــرب الكـــونية الثـــــانية والممتـــــدة مـــن

(١٩٣٩م - ١٩٤٥م) فقد كان يركز في اطروحاته على الدعوة للسلام والأمن الدوليين و التبشير بأن الثنائية القطبية ستعمل على حفظ التوازن الدولي ...

وطرحت الولايات المتحدة أفكارها الأولى حول الملامح العامة للنظام الجديد و المحددة للنسق الدولي عبر مبادرتين هامتين الأولى الاقتصادية الداعية إلى استبدال نظام **Berttn woods** الاقتصادي الذي كان معمولا به بنظام السوق الحر ... والدعوة للتجارة الحرة . والمبادرة الهامة الثانية هي مبادئ " نلسون " الأربعة عشرة التي إ نبثقت عنها فكرة ا الجمعية العامة للأمم المتحدة كبديل لعصبة الأمم التي كانت سائدة .

والأمم المتحدة تقوم على :-

أ / ميثاق الأمم المتحدة الملتزم بقضايا (السلام / العدل / التعاون الدولي) .

ب / الجمعية العامة للأمم المتحدة .. وهي بمثابة برلمان لمجموعة الدول الأعضاء الموقعة على الميثاق .

ج / مجلس الأمن الدولي عبارة عن (حكومة مصغرة) للأمم المتحدة وبه خمسة عشرة عضوا ، خمسة منهم دائمين ويمثلون الدول الكبرى (الولايات المتحدة الأمريكية - الاتحاد السوفيتي "روسيا الآن"

- الصين - فرنسا - بريطانيا) وهؤلاء يملكون حق النقض " الفيتو " وذلك للإعتراض على القرارات التي لا تتوافق وقناعا تهم ولا يتجاوز الفيتو إلا بالرجوع للجمعية العامة للأمم المتحدة بإعتبارها المرجعيـــة النهائية في المنظمة ولا يسمح باستخدام حـــق النقـــض "الفيتـــو" داخلها ....

د / هيئات الأمم المتحدة المتخصصة مثل منظمة الصحـــة العالميـــة ، ومنظمة اليونسيف وهي معنية بالثقافة والعلـــوم " منظمـــة الفـــاو" وهى متخصصة في قضـــايا الزراعة و الغذاء ... الخ .

إضافة لتكتلات ذات طابع اقتصادي متفرعـــة عن الأمـــم المتحدة مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي وكلها تصـــب في إطار السوق الحر ..

الهدف الأول لقيام المنظمة هو المحافظة على السلام العـــالمي وبسط العدالة بين الدول .. حيث تتساوى في باحتها الدول صغراهـــا والكبرى منها .. والمنظمة بصفتها تلك فوق الدولة وهى حكومـــة العالم ومحكمته .

ولكل دولة خصوصيتها الحضارية والثقافية والسياسية في ظل عالم تسيطر عليه فلسفتان هما الفلسفة الاشتراكية الشرقية والفلســـفة

الغربية الرأسمالية ، والصراع بينهما أقرب إلى الصراع بين الحضارات رغم أنهما من نفس الرحم .

أميركا والنظام العالمي الجديد ...

بسقوط الطرف الثاني في لعبة التوازن الدولي كان لابد من نظام دولي جديد لا يشترط فيه أن يتشابه مع ما سبقه من أنظمه .. أو أن يأخذ عنها ... كما سبق وأشرنا إلى ذلك ... لكن دوما كان عامل القوة هو الحاسم والمتحكم في شكل النظام وفلسفته التي يقوم عليها ... فما هو النظام العالمي الجديد ..

في أول إعلان عن هذا النظام عقب حرب الخليج الثانية في بداية التسعينات عرف الرئيس الاميركي جورج بوش* النظام العالمي الجديد بأنه (نظام ليس للأمة في ظله أن تتنازل عن ذرة من سيادتها ، وهو نظام يمتاز بحكم القانون لا بإستخدام القوة ، ويمتاز بحل الصراعات والتعاون ، ويمتاز بالإيمان بحقوق الإنسان ..)*(1) ...

من المتعارف عليه في علم الاقتصاد إن السلع الجديدة التي تسوق يضفي عليها على سبيل الدعاية والإعلان الكثير من الصفات والمحسنات لترغيب المستهلكين بها.. وهذا أيضا ما تحتاجه السياسة حينما تطرح أفكارها في السوق الدولي .. فلقد حوى الإعلان الأول

---

[1] رئيس للولايات المتحدة الأمريكية في ١٩٨٨-١٩٩٢ , كان نائبا للرئيس رونالد ريجان على مدى فترتين رئاسيتين ، عرف بأنه أحد ملوك النفط قبلها

للنظام الجديد العديد من الصفات المحسنة تلك.. مثل الدفاع عن حقوق الإنسان ، ومنع الكوارث الإنسانية ، والعمل من اجل العدالة ، والحرية ، الديمقراطية بل وذهب إلى حد التدخل المباشر لفرض وبسط وحماية تلك الشعارات وفقا لمفهومه الذي يمثل الفكر الغربي .

وفي إضافة أخرى ، عرف هنري كوشنير* ذات النظام بأنه (حق التدخل الإنساني وانه وسيله للوقاية ..) (٢) .

بموجب هذه التعريفات والمفاهيم العامة التي قدم بها النظام الجديد ... فإنه لا حرمة ولا خصوصية للدولة .. وهذا يتعارض تماما مع المبادئ التي قام عليها النظام الدولي المعاش منذ عام ١٩٤٥م حتى عام ١٩٩٠م .. حيث نص صراحة في قانون الأمم المتحدة المنظم لعلاقات الدول البينية على حرية الدول وسيادتها على أراضيها وخصوصيتها المميزة .

وبدأت الولايات المتحدة التي خرجت منتصرة من الحرب الباردة وصراع ما بعد الحرب العالمية الثانية حول زعامة العالم ..في إفراغ المنظمة الدولية من محتواها .. وبصورة مخططة سابقة لإعلان بوش حول النظام الجديد .... فقد توقفت لسنوات عديدات تخلت عن دفع حصتها المفروضة عليها للمنظمة الدولية .. مما أضعفها كثيرا

---

* هنري كوشنير وزير ما وراء البحار - حكومة الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران

بل ونجحت في تدجينها والسيطرة عليها بتجاوزها لأهم المضامين التي أسست عليها وهى الحرية والمساواة ...ودأب الأمريكيون على اعتبار المنظمة الدولية كأحد الإنجازات الكبرى لأسلافهم مؤسسو أميركا العظام كما تصفهم مادلين أولبرايت (لقد كان قادتنا يتحلون ببعد النظر اللازم للمحافظة على أمريكا قوية فيما كانوا يعملون لتعزيز القوى الديمقراطية حول العالم ويقيمون مؤسسات مثل الناتو والأمم المتحدة والبنك الدولي لتعزيز التعاون الدولي والنمو الإقتصادي، لقد فعلوا ذلك على أساس من التعاون بين الحزبين .)[1]

لقد ظلت الأمم المتحدة هي الملجأ والضامن للدول المتحررة التي عانت من ويلات الاستعمار وشكل ميثاقها الكافل للاستقلال وحرية القرار أكبر بواعث الطمأنينة لتلك الدول وعاملا هاما في تدافعها للانضمام للجمعية العامة ... وفرض النسق الدولي حينها نفسه عليها وعلى بقية العالم الذي أقتسمه الأمريكيون والسوفيت فيما بينهم عبر سياسات التوازن الدولي وصناعة المحاور وخلق التحالفات والقواعد ..و بإختفاء السوفيت عن الميزان الدولي قسرا !! قلبت الولايات المتحدة ظهر المجن لبقية دول العالم .. ... خاصة حيث

(1) مادلين أولبرايت –وزيرة الخارجية الأمريكية –مقال صحفي– صحيفة نيويورك تايمز – ٢٦ يناير –١٩٩٧

مصالحها الإستراتيجية..وبدأت في السعي لفرض نظام عالمي جديـــد قائم على ما يسمى بالعـــــــولمة حيث للعالم ثقافة مشتركة ونهـــج اقتصادي وسياسي واحد حســـب المعايير الأمريكيـــة... فنســـفت بذلك أحد أهم قواعد النظام الدولي المعايش بإعلائها وتبنيها لحـــق التدخل الإنساني تحت دعوة " الشـــرعية الدوليـــة " واســـتخدامها كواجهة .. يتخفي تحتها الاستعمار الجديد .. وترفع عنـــها الحـــرج الأدبي والتاريخي ولأجـــل أن تعمي الأبصـــــار عـــن أطمـــــاعها ونواياها !.. وهنا مربط الفرس ... فلخلق القبول لهذه الشرعية الدولية كان لابد من إعطائها الشـــــكل القانوني والإجماعي .. عبر مظلـــة الأمم المتحدة التي تأثرت بصورة مباشرة بإنفراد الولايـــات المتحـــدة بالزعامة الدولية .

لقد بدأ جليا أن الاستعمار بدأ يطل بوجهه مـــــرة أخـــرى بصورة أكثر بشاعة يأنف فيها عن دفع نفقات تمـــــدده وتوســـعه واستغلاله فتحت منطوق الشرعية الدولية وواجهة المنظمة العالمية يدفع الضحـــايا تكاليف ذبح حريتهم ونهب ثرواتهـــــم .. لتحقيـــق طموحات الدول الكبرى في التوسع والـــثراء ... وشـــاهدنا هنـــا " دوغلاس هيرد " وزير الخارجية البريطاني الذي نادى بـــأن (علـــى

الجمعية أن العامة أن تعطى الأولوية للجنود الدوليين للردع ..)[1] مع ملاحظة الجنود الأمير كين والأوروبيين خاصة البريطانيين منهم هـــم الســواد الغـــالب في تلك القوة الدولية ويواصل اللورد الإنجلـــيزي حديثه مفسرا طلبه ذلك (بأن تكلفة هذه الجيوش قد أرهقت ميزانيــة دولها)[1] ؟؟.

ولقد برز الدور الطروادى للمنظمة الدولية وتوابعـــها مـــن الهيئات في حـــرب الخليج الثانية ١٩٩٠م – ١٩٩١م حيث تولـــت الولايات المتحدة كبر تلك الحرب وما فتئت توالى تنفيذ العقوبات ضد العراق رغم تحفظ العديد من الدول على مجريات الأحداث وطريقـــة التعامل والمعالجة منذ بدايات الأزمة الأولى وحتى اليوم ومنـــها دول لها شأن مباشر بالأزمة .

ولعبت الأهمية الاقتصادية لمنطقة الشرق الأوسط دورا أساسـيا في سرعة التحرك الاميريكي إبان الأزمة وذلك تحت ستار " الدفـــاع عن أمن المنطقة والسلام والأمن الدوليين" وما زالت الكويت وبعـض دول مجلس التعاون الخليجي تتعرض للإستنـــزاف الأمـــيركي حـــتى اليوم ، بينما كان الموقف الاميريكي سلبيا تجاه قضية البوسنة والحـرب

---

[1] دوغلاس هود – وزير الخارجية البريطاني – لقاء إذاعي – لندن

الأهلية فيها وهي في قلب أوربا وعضو ضمن الأمم المتحدة دامت المجازر وإنتهاكات حقوق الإنسان فيها أربع سنوات ،كانت الدوافع الإنسانية التي يتطلبها حق التدخل الإنساني ومفهوم الشرعية الدولية ليتم متوافرة .. بأكثر مما في الكويت رغم عدالة قضيتها .

العالم والقيادة الأمريكية

ونحن حينما نتناول النظام العالمي نركز على الولايات المتحدة الامريكيه ودورها فيه لأنها تتعامل مع قضايا الساحة الدولية من منطلق زعامة العالم كما ذكر وزير خارجيتها وارن كريستوفر عندما قال (لم يكن من شأن انتهاء الحرب الباردة سوى تعزيز حتمية زعامة أميركا)[1]

والذي ذكر فيه أيضا (ونظرا إلى الثقة في قدراتنا على إعلاء شأن القيم الجامعة تحين أوقات لا يمكن لأحد سوى أميركا أن يتولى القيادة ، علينا أن نتولى القيادة لا لأن ممارسة القيادة هي غاية في حد ذاتها بل لأنها ضرورية للإرتقاء بمصالح ومثل بلادنا العظمى)[2] .

وحين سئل في مؤتمره الصحفي الذي عقده إبان مغادرته للخارجية الامريكيه عن أعظم درس تلقاه بصفته وزير خارجية أميركا

---

[1] مقتطفات من الخطاب الوداعي لوارن كرستوفر – جامعة هارفارد في ١٥/يناير/٩٧ وهو وزير خارجية أمريكا في الولاية الرئاسية الأولى للرئيس بيل كلنتون ١٩٩٢-١٩٩٧ م

(٢) المصدر السابق

رد (إن أعظم درس هو أهمية القيادة الأمريكية)[3] ولقد تحدث الرئيس الأمريكي بيل كلنتون (عن الشعور بالمسئولية تجاه القرن المقبل بإعتبار أن القرن العشرين كان قرن الولايات المتحدة[1] .. بقناعة مطلقة بكمال الحضارة الامريكيه حيث (أوجد الأمريكيون طبقة وسطى ، وضمانا في سن الشيخوخة ، وانشأوا مراكز علم لا تبارى وفتحوا مدارس عامة للجميع ، شطروا الذرة ، وكشفوا أجواء الفضاء ، وإبتكروا جهاز الكمبيوتر ورقائقه الدقيقة (**Microchip**) وعمقوا مناهل العدالة بإحداث ثورة في حقوق الإنسان)[2].

وفي ذات الخطاب وبإعتباره إنجازا أمريكيا قال: (لأول مرة في التاريخ يزيد عدد الناس الذين يعيشون في ظل الحكم الديمقراطي عن الذين يعيشون في ظل الحكم الديكتاتوري)[3] فكما ذكر وزير خارجيته كريستوفر (بسبب قيادة الولايات المتحدة يتجه قرن لم تأمن الديمقراطية فيه أبدا إلى الأفول وتحل الحرية)[4]، وتقول زعيمة الدبلوماسية الأمريكية : (كتب دين اتشيسون قبل نصف قرن واصفا

---

[3] المصدر السابق

[1] خطاب الرئيس بيل كلنتون بمناسبة الولاية الثانية ٢١ يناير ١٩٩٧ م

[2] المصدر السابق

[3] المصدر السابق

[4] الخطاب الوداعي لوارن كرستوفر – مصدر سابق

معايشته بروز حقبة جديدة واليوم نحن ايضا لنا مثل ذلـــك الإمتيـــاز وعلينا تحمل المسؤولية التي تواكبه)[٥] وتواصل قائلة(واليوم يجري بناء إطار للزعامة الأمريكية يتكيف مع متطلبات قرن جديد).

يوقن الأمريكيون وبصورة مطلقة بقيادتهم للعالم ، وتفوقـــهم فيه ويعلمون أن الأمر ليس حتميا وأنهم إن لم يحافظوا علـــى موقـــع القيادة هذا فسيأتي يوم يزاحون فيه لا محالة..وهذا ما تقوله أولـــبرايت في خطاب تعيينها... (لقد بلغنا مرحلة تتجاوز منتصف الطريق بـــين تفسخ الاتحاد السوفيتي وبداية قرن جديد ،إن بلادنا تحظى بـــالإحترام وتنعم بالسلام وتحالفاتنا قوية واقتـــصادنا متين ، والمؤسسات والمثـــل الأمريكية مثل يحتذيه من يتمتع بالحرية أو يطمح إلى تحقيقها ،مـــن أقاصي آسيا إلى للديمقراطيات الناشئة في أوربا الشرقية وأفريقيـــا إلى مجموعة الدول الديمقراطية الكائنة في نصف الكرة الغـــربي باســـتثناء واحد مهم من تلك المجموعة وهو كوبا ..

ذلك لم يحدث صدفة ، واستمراره ليس حتميـــا ، والتقـــدم الديمقراطي يجب أن يسانده - كما بناه - الدور القيادي الأمـــريكي ، ودورنا القيادي يجب أن يحـــافظ عليه إذا كانت لمصالحنا أن تكـــون محمية في شتى أرجاء العالم .. ولا يراودكم أي شك أن تلك المصـــالح

---

(٥) مادلين اولبرايت – مقال صحفي –مصدر سابق

ليست من قبيل التجريد الجغرافي السياسي وإنما هي مصالح حقيقية .[١]

لقد لعب الاقتصاد الأمريكي المتطور دورا كبيرا في تمكين تلك القيادة الأمريكيه.. فلقيادة العالم مسئولياتها والتزاماتها التي يتطلب توافرها مقدرة مالية عالية ، وبناءا اقتصاديا محكما .. فكما تحدث الوزير كريستوفر : (إن أحد الأمور التي تشكل ميراثا دائما للولاية الأولى للرئيس كلنتون هى السجل الذي حققناه في مجال تعزيز مصالحنا الإقتصادية ، ففي كل منطقة في العالم كانت زعامتنا حاسمة في مجال تقرير مصالحنا ومثلنا[٢] فالمصالح الإقتصادية مقياس لنجاح الحكومات الأمريكية كما هي مقياس لمدى قوة أو ضعف علاقاتها الدولية . لقد كانت القوة والديناميكية التي يتميز بها الإقتصاد الأمريكى هي التي أطلقت يد الإدارة في برامج المعونات الخارجية الذي بموجبه كونت توابع الحلف الغربي ، وكانت التجربة الأولى قد بدأت بمشروع مارشال الذي قصدت منه دعم أوربا الغربية واليابان بعد الحرب .. ثم توالى الصرف لأجل توسيع النفوذ الأمريكي عبر المال .. وهذا ما افتقده السوفيت (لم يعد العالم منقسما بين معسكرين

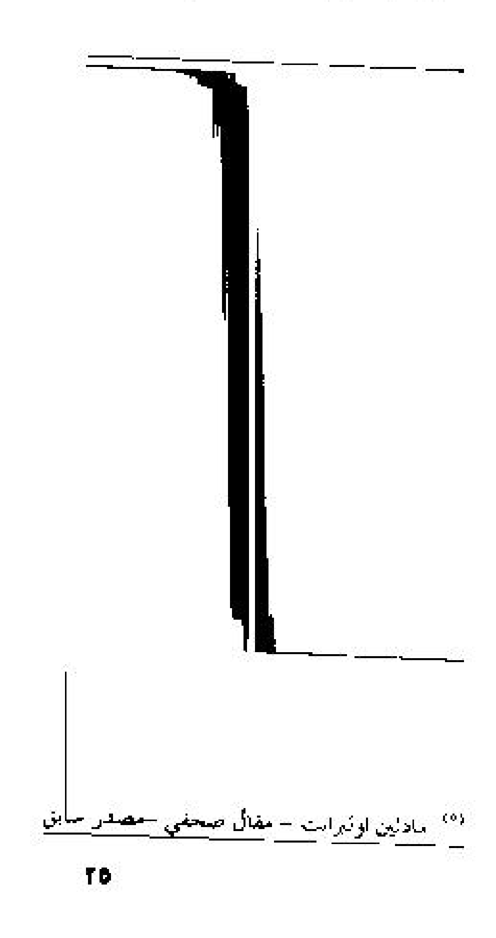
---

[١] خطاب مادلين أولبرايت – خطاب تعينها في منصب وزيرة للخارجية للولايات المتحدة – أمام لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس

[٢] خطاب كريستوفر سابق الذكر

مجموعة الدول الديمقراطية الكائنة في نصف الكرة الغربي باستثناء واحد مهم من تلك المجموعة وهو كوبا ..

ذلك لم يحدث صدفة ، واستمراره ليس حتميا ، والتقدم الديمقراطي يجب أن يسانده – كما بناه – الدور القيادي الأمريكي ، ودورنا القيادي يجب أن يحافظ عليه إذا كانت لمصالحنا أن تكون محمية في شتى أرجاء العالم .. ولا يراودكم أي شك أن تلك المصالح



(٥) مادلين اولبرايت – مقال صحفي – مصدر سابق

متعاديين ، بدلا من ذلك تعمل اليوم في ...
في الماضي معادية لنا .... وازدياد الروابط التجارية والثقافية يتيح لنا فرصة لتحسين معيشة وأوضاع الناس في كل العالم .)(٢)

إن زعامة الولايات المتحدة للعالم بنيت على ذراع الإقتصاد والقوة المالية حيث الترغيب بالمعونات والمساعدات والقروض وهذا أسست توابعها واهتمت بذراع القوة العسكرية فتطورت وتقدمت بصورة مذهلة في مجالات التسلح وصناعة السلاح وأبحاث تطويره المتنوعة ، وحرصت على أن تكون متفوقة... حتى أضحت رائدة في هذا المجال بنهاية سباق التسلح ،ومن العوامل التي تذكر في سياق الحديث عن النبوغ الأمريكي في هذا المجال القول بان العقلية الأمريكية قامت على ضرورة وجود عدو .. وإن لم يوجد يخلق ... لذا وبعد إنتهاء الحرب الباردة ما تزال الخطى الامريكية تتسارع تجاه التسلح حيث أن الآلة العسكرية الأمريكية هي وسيلة ضغط وبسط نفوذ ، بها تسعى الولايات المتحدة لحكم العالم .. (اليوم لا يكفي أن نقول أن الشيوعية قد أخفقت ، علينا أن نواصل بناء إطار جديد

(٢) خطاب مادلين أولبرايت – خطاب تعينها في منصب وزيرة للخارجية للولايات المتحدة – أمام لجنة العلاقات الخارجية بالكونغرس

- يتكيف مع متطلبات قرن جديد - من شأنه أن يحمي مواطنينا وأصدقاءنا ويعزز قيمنا ويكفل مستقبلنا ..ولدى قيامنا بذلك علينا ألا نوجه طاقتنا ضد أيديولوجية واحدة خبيثة كما فعل أسلافنا .. إننا تواجه تهديدات شتى بعضها قدم قدم النزاعات الإثنية.. وبعضها جديد جدة الرسائل المفخخة ، والبعض الآخر بعيد المدى مثل إرتفاع حرارة الأرض ،والبعض خطر كخطر أسلحة نووية تقع في أيدي من يسيئون استخدامها ولكي نتصدى لمختلف الأخطار هذه ، سنحتاج إلى مجموعه كاملة من أدوات السياسة الخارجية ..وهذا هو سبب حاجتنا إلى أن تبقى قواتنا المسلحة الأفضل قيادة والأفضل تدريبا والأفضل معدات والأكثر إحتراما في العالم ..

وستكون كذلك ، كما تعهد الرئيس كلنتون وكما يكفل القادة العسكريون أن القوة والإحتمال الموثوق لإستخدامها ، هما ضروريان للدفاع عن مصالحنا الحيوية وإبقاء أمريكا آمنة) ([1]) ، وفي حديث لأولبرايت تطرق لما بعد الحرب الباردة تقول (فعلى مدى عقود، صنفت الحرب الباردة ليس فقط الدول الأجنبية بل وايضا كل من تعاطى شئون السياسة الخارجية ، واليوم فإن أوصاف الماضي مثل الصقور والحمائم والليبراليين والمحافظين لاتعني الكثير ، فاكم إختلاف

[1] الخطاب الوداعي لوارن كريستوفر- مصدر سابق.

هو ذلك القائم بين مساندي وخصوم المشاركة الأمريكية النشطة)[2]
وذكرت في معرض حديثها عن أهمية مساندة الحزبين الرئيسيين لسياستها الخارجية (إنها تجعل حلفاءنا يثقون بنا كما تجعل أولئك الذين قد تراودهم فكرة معارضتنا يحترموننا)[3]

أما الذراع الثالث والأخير فقد كانت الأمم المتحدة التي عملت أميركا- في ظل قيادتها للنظام العالمي كما ذكرنا- على إفراغها من محتواها .. والسيطرة عليها واتخاذها مطية لعودة الإستعمار الحديث وبصورة متجددة يدفع الضحايا فيها تكاليف إستعمارهم وهضم حقوقهم !.

فطوال سنوات ورغما عن كونها دولة المقر ماطلت الولايات المتحدة في تسديد ما عليها للأمم المتحدة حتى صارت المتأخرات مؤثرة على إستمرارية المنظمة الدولية وقيدت يدها وحدت من دورها

وبعدما فرغت الولايات المتحدة من معركة تثبيت القيادة العالمية، عملت على الإستفادة القصوى من ميزات المنصب المكتسب عنوة ،وبالتالي كانت أهمية توفر الغطاء الملائم لتحقيق طموحاتها وهو الحكومة العالمية التي لا ينبغي أن تكون ذات كلمة

---

(2) مادلين أولبرايت – مقال صحفي – مصدر سابق

(3) المصدر السابق

على الدولة القائدة، فعملت بعد تهميشها للمضامين المؤسسة عليها المنظمة الدولية ،وبسط مفهوم الشرعية الدولية وحق التدخل الإنساني ، اتجهت إلى فرض إرادتها على إدارة المنظمة ، فاجتهدت لإقصاء أمينها العام د. بطرس بطرس غالي رغم تراضي الجمعية العامة للأمم المتحدة وغالب الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن خاصة فرنسا على إعادة انتخابه ! ، ولكن إعترضت عليه المندوبة الأمريكيه بالمنظمة وكانت حينئذ السيدة / مادلين أولبرايت .. التي اتهمته على لسان حكومتها بالضعف الإداري .. وبالعجز عن التعاطي والتفاعل مع مشاكل المنظمة الدولية الداخلية أو تطويرها وتحت ضغط التهديد الأمريكي باستخدام الفيتو ضد إعادة انتخابه أضطر الدبلوماسي المصري العجوز للإنسحاب.

واختير أمين عام جديد خلفا له .. بمواصفات رأت واشنطن أنها لا تتوافر في سلفه ولكن كان للآخرين رأى مختلف حول حقيقة الموقف الأمريكي إذ يرون أن إقدام السيد غالي على نشر تقرير عن مذبحة" قانا " وأدينت فيه إسرائيل لقصفها المدنين العزل في مقر للأمم المتحدة بلبنان رغم الإعتراض الأمريكي ،كان السبب المباشر لموقف واشنطن حياله ،وأحتفل الأمريكيون بإنتصارهم على الإجماع الدولي وأسموا معركة الأمين العام بالحملة الإصلاحية (حملتنا الإصلاحية

أخذت تؤتي ثمارها ، فقد بات للأمم المتحدة أمين عام جديد ، وهـو قائد يتحلى بالقدرة والقناعة على جعل الأمم المتحدة جهازا فعـالا إستعدادا للقرن القادم . (١) .

وهنا فقط شعرت أمـريكا بأن (على الأمم المتحـدة أن تطلع بدورها ولكن علينا أن نفعل ذلك الآن أيضا ، لقد حان وقـت دفع المستحق علينا وديوننا لقد حان وقت الإقرار بأنه ليس بوسـعنا الإصلاح والانسحاب في الوقت نفسـه [١]) فلأجـل مـاذا شـعر الأمـريكيون بضـرورة وجود دور فاعل للمنظمـة الدوليـة ؟ ولماذا الآن ؟! ، ولماذا الآن فقط حان وقت سداد الديـون ودفع ما عليهم ..؟ ودائما هناك مبررات (بسبب المتأخرات الماليـة الامريكيه إلى حد ما ؟ عجزت الأمم عن القيام بمهام كبيره لمصالحنـا في مجالات حفظ الإنسان واللاجئين والعمليات وحقـوق الإنسـان والصحة العالمية وبإخفاقنا في دفع المستحق علينا ، نكـون قـد عملنا أيضـا على التعريض بقدراتنا على جعل الأمم المتحدة أقـل حجما واكثر كفاءة .)[١] .

---

[١] مادلين أولبرايت خطاب التعيين ٩/يناير/١٩٩٧م .

[١] المصدر السابق

وتؤكد مادلين أولبرايت في ذات الخطاب خطها للإستفادة من المنظمة باعتبارها (تخدم أهداف الاستقرار وحكم القانون والتعاون الدولي التي هي مصلحتنا) . والملاحظ الطرق المتلاحق والمركز على الشعارات البراقة للنظام الدولي مثل حقوق الإنسان ،البيئة ، الصحة ، اللاجئين ، الكوارث ، الخ . فكما تقول وزيرة الخارجية الامريكيه الجديدة في سياق حديثها عن أطر القيادة الامريكيه وأهميتها وارتباطها بتلك الشعارات أنه (تكمن في مركز ذلك الإطار تحالفاتنا وعلاقاتنا الأساسية ، فهذه روابط لا تشد أوصال سياستنا الخارجية فحسب بل النظام الدولي بكامله)[٢] .

ويختصر كريستوفر سلفها الأمر بالقول (لقد حان وقت الإقرار بأن لنا مصلحة وطنيه حيوية في تمويل الجهود الدولية تمويلا كافيا . بقدر ما نحن بحاجة إلى الحفاظ على استعدادنا العسكري من خلال الإبقاء على قوات وقواعد في شتى أرجاء العالم . فإننا بحاجة إلى الحفاظ على تأهبنا الدبلوماسي من خلال دعم الأشخاص والبرامج التي تساعد في الحؤول دون خوض جنودنا الحروب)[٣] .

---

[٢] مادلين أولبرايت / خطابها أمام لجنة الشؤون الخارجية يناير ١٩٩٧م .

[٣] وارن كريستوفر-الخطاب الوداعي -جامعة هارفارد-١٥-١-١٩٩٧

في ظل عالم حافل بالمخاطر الحقيقية ، سيعمل إخفاقنا في الحفاظ على استعدادنا الدبلوماسي على نقل عبء القيادة على عسكريينا ، وستناقش التكاليف بمعيار الفرص التي تضيع والأرواح التي تزهق [1]) .

وكل هذا في سبيل ما أسمته أولبرايت بالموارد (علينا أن نستثمر الموارد اللازمة للحفاظ على الدور القيادي الأمريكي .[2])

ويلخص أهداف السياسة الخارجية الأمريكية ربانها السابق وارن كريستوفر حين يقول : (إن اعظم درس تلقيته هو أهمية القيادة الأمريكية ، ونظرا لأننا أصبحنا الآن الدولة العظمى الوحيدة في العالم ، فإن العالم بأسره يتطلع إلى قياداتنا ، ولا يمكن أن تتحقق القيادة لقاء ثمن بخس ، ولكن عندما تتعاطى الولايات المتحدة شئون العالم ، عندما نشترك اشتراكا فعالا فيها ، يكون بوسعنا تسوية المشاكل ، واعتقد أن ذلك مفيد للشعب الأمريكي .[3]) .

هذه هي المقاييس الأمريكية القائمة على ضرورة الحفاظ على رفاهية الشعب الأمريكي ، وأحكام السيطرة على العالم ، والاستفادة

---

[1] كريستوفر – خطابه الوداعي في جامعة هارفارد ١٩٩٧/١/١٥م .

[2] مادلين أولبرايت – خطابها أمام لجنة العلاقات الخارجية ١٩٩٧/١/٩م

القصوى من الموارد المتاحة، والعمل على منع ظهور منـــافس حـــول زعامة العالم ، فما علاقة السودان بهذه الأذرع الثلاثة ؟! هـــذا مـــا سنتناوله لاحقاً .

إبان مرحلة توازن القوى ومن خلال سعى كل من العملاقين لتعزيز نفوذه والتوسع الجغرافي وتطوير القدرات بعد اقتسامهما لأوربا برز الصراع حول دول العالم الثالث ....

كان الاتحاد السوفيتي قد بدأ التمدد في أمريكا اللاتينية وبعض الدول الأفريقية وجيرانه الآسيويين أما الولايات المتحدة فكانت عينها على الشرق الأوسط بإعتبار ثرواته الطبيعية خاصة النفط وموقعه الجغرافي الإستراتيجي المتحكم في طرق الملاحة والمرور الدوليين .. ولقد نجحت في الحيلولة دون تمدد الاتحاد السوفيتي في المنطقة إلى حين تفككه و إنهيار المعسكر الشرقي ورغم غياب المنافس الدولي إلا أنها كانت لها مخاوفها الأخرى في المنطقة حيث الخشية من بروز القوى الإقليمية الفاعلة التي يحتمل أن تهدد مصالحها أو تؤثر عليها، كما كانت تعي أنها لم تسيطر بعد على منابع النفط بصورة مباشرة وهو ما تسعى إليه منذ حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، تحوطا للمستقبل وحماية للمصالح الاستراتيجية الأمريكية تحتم القيام بخطوتين هامتين :

الخطوة الأولى ....:

برز العراق بعد حرب الخليج الأولى كقوة عربية عظمى تـأتي من حيث التسلح التقليدي في المرتبة الرابعة عالميا .. وتتفـوق علـى فرنسا وبريطانيا مجتمعتين، إضافة إلى كونه قوة نفطية مقدرة ، ومؤثرة في سوق النفط العالمي .. وله تطلعات إقليمية ... تتعارض مع المصـالح الأميريكيه وهو من الدول شديدة العداء للكيان الإسـرائيلي ... وفي سياساته العامة ، وخططه التنموية .. والاهتمام المتعاظم فيه بـالتطور العلمي التكنولوجي خاصة في مجال التسلح .. ما يهدد بصورة مباشـرة كلما سعت الإدارة الأميريكيه لتثبيته من مصـالح وإسـتراتيجيات في منطقه الشرق الأوسط ، فصار محتما تدمير تلك القوة العربية الناشئة .

لقد كان الأمريكيون على علم بالخلافات بين العراق وجيرانـه من دول مجلس التعاون الخليجي .. خاصة الكويت .. حيـث لـدى العراقين قناعة بأنهم خاضوا حرب الخليج الأولى ضد إيران الشـيعية بالوكالة عن هذه الدول .. التي دعمته أثناء الحرب التي استمرت لبضع سنوات ... ولكن والعراق ما زال مثخنا بالجراح صـارت تطـالب بديونها عليه .. وهو ما اعتبره العراقيون إستغلالا للموقف وعدم تقدير للدور العراقي في الحفاظ على أمن الخليج أمام الخطر الإيراني .. ولقد طرح على السفيرة الأمريكيه ببغداد الوضع بين الدولتين مـن قبـل

الحكومة العراقية .. فأكدت للرئيس العراقي صدام حسين أن واشنطن غير معنية بالخلافات العربية البينية *[1] .. وكان هذا بمثابة الضوء الأخضر كي يمضي العراقيون قدما في مخططهم لغزو الكويت .. وهو ما حدث بالفعل في أغسطس – آب / ١٩٩٠م ...وسرعان ما تبينت لهم المصيدة الأمريكية ولكن بعد أن أحكمت عليهم فقد نجحت في عزل العراق عن عمقه العربي وحرمته من التعاطف الدولي ، وعبر الشرعية الدولية قام التحالف الدولي ضد العراق وتحت مظلة الأمم المتحدة وصلت طلائع القوات الأمريكية بغضها وغضيضها حيث شكلت أكثر من ٦٥ % من قوات التحالف .. وبدأت المعارك في شتاء/ ١٩٩١م حيث دمرت المقدرات العسكرية والفنية والعلمية للعراق وأفقر بتطويقه بالحصار الدولي الذي تجاوز السنوات السبع حتى الآن ..وهكذا تم إخراجه من المسرح الإقليمي .. ونجحت أولى الخطوات الأمريكية.

الخطوة الثانية :

هذه الخطوة كانت احتلال منابع النفط وهو مخطط قديم أعده دهاقنة السياسة الأمريكية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م .. حينما

---

[1] بول سالنجر – حرب الخليج – ص – – لقاء السفيرة الامريكية وصدام حسين / نوفمبر/١٩٩٠م .

استخدم العرب بقيادة الملك "فيصل بن عبد العزيز" .. النفط كسلاح للضغط على الغرب الداعم لإسرائيل ... و تعرضت أوربا والولايات المتحدة لهزة إقتصادية مريعة بسبب إرتفاع أسعار النفط الذي وصل سعر البرميل منه إلى (٣١ دولار) و أعلن حينها "هنرى كسنجر" ضرورة احتلال مواقع النفط .

وبات واضحا لأمريكا ضرورة السيطرة على منابع النفط لضمان عدم تكرار الأزمة والمحافظة على السعر المتوافق مع المصالح الغربية والأمريكية وكانت أولى التوصيات بحتمية معاقبة الملك فيصل وجعله عظة للحكام العرب .. حيث تمت تصفيته عام ١٩٧٤م .

وأنجزت خطوة تأمين النفط بصورة دائمة عبر الاحتلال المباشر .. وهو ما نراه بعد حرب ١٩٩١م - متمثلا في وجود القوات والقواعد الأمريكية في الخليج والمسطحات المائية المحيطة به .. عبر إتفاقيات الدفاع المشترك والتعاون الثنائي .. وتعد هذه الوضعية هي أبرز وأول نواتج الوضع العالمي الجديد لمراكز القوى الدولية .. إذ ما كان يتأتى الأمر للولايات المتحدة وبصورته التي تم بها لولا غياب الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية ... وكانت النتيجة المباشرة لذلك الإنهيار الاشتراكي .. هي إستبدال سياسة الإحتواء المزدوج من

إحتواء التمدد السوفيتي لإحتواء الإسلام .. وهو ما بـــرز بصـــورة واضحة إبان حرب الخليج وما تلاها .

وهنا يبرز السودان :

بعد إستقلال السودان طغت نظرية توازن القوى الآنفة الذكر على نظرة الولايات المتحـــدة للسودان حيث عد ضمن دول مواجهة الإحتواء السوفيتي و لم تكن له أهمية آنية حينئذ ..

وفي تقرير سرى لمجلس الأمن القومـــي الأمريكـــي بتـــاريخ ١/يناير/١٩٦١م حـــددت الولايات المتحـــــدة سياســـتها نحـــو السودان بإعتبار أن (أميركا ليست لها مصالح اقتصـــادية أو عسكرية ملحة في السودان عدا استخدام المجال الجوى الســـوداني للطـــائرات العسكرية وحق الهبوط) ويؤكد التقرير أهمية السودان المستقبلـــــية ووضعه الإستراتيجـــي الحالي الذي يمكنه من التأثـــير على أفريقيـــا وإلى حد مـــا الشرق الأوسط ... ومن هذه الناحية فهو ســـيؤثر في تحقيق أهداف الولايات المتحدة في المنطقتين)[١]

ولقد اجمل التقرير أهداف السياسة الامريكيه في السودان :

أ / من الأهمية بمكان وجـــــود سودان مستقر ومستقل وقادر علـــى رفض محاولات الإحتواء السوفيتية وصديق للعالم الحر .

---

[١] تقرير مجلس الأمن القومي الأمريكي - غرة يناير ١٩٦١م

ب / أن يكون السودان صديق لمصر ولكن غير خـــاضع للاحتــواء المصري .

ج / استمرار استخدام المجال الجوى السوداني للطـــيران العســكري وحفظ حقوق الهبوط [٢].

<u>وذيل التقرير بموجهات للسياسة الأمريكية تجاه السودان :-</u>

أ / الطلب من الحكـــومة البريطانية الاستمرار في المحافظـــة علـــى نفوذها في السودان إعتمادا على المكانة التي تتمتع بها في السودان .

ب / مع التسليم بالمصالح المصرية في السودان ، ورغبتنـــا في إقامـــة عـــلاقة صداقة بين السودان ومصـــر **علينا مساعدة الســـودان (إذا طلب) في تجنب الإحتواء السياسي المصري .**

ج / تشجيع السودانيين للعب دور فاعل في أفريقيا ، علـــى أن يتم ذلك بصورة غير علنية **مع الحـــرص على عدم إعطائهم أي شـــعور حول السعي لإضعاف روابطهم العربية .**

د / تقديم قروض من المؤسسات الدولية للسودان .

ز / **تقديم مساعدات فنية ومالية تخدم الأهداف الأمريكية في السودان.**

---

[٢] المصدر السابق

هـ / الابتعاد عن الدخول في أي مفـــاوضات تتعلـــق بمجـــاري الأنهر (Riparian) أو مياه النيل وتجنب إظـــهار التحـيز لأي جانب[٣] .

ولقد كان اهتمام الولايات المتحدة يأتي في إطار أن السودان هو المدخل الطبيعي لأفريقيا حيث حرصت علـــى دفــع الحكومــة السودانية للاهتمام بالقضايا الأفـــريقية ولعب دور مؤثر في القـــارة وهو مؤهل لذلك بحكم موقعه الذي يجاور (ستة) بلـــدان أفريقيـــة خالصة من الدم العربي .. وله إمتدادات طبيعية في تلك الدول تتمثل في الديانات المشتركة مع بعضها والتداخل القبلي وظـــل الثقافـــة المشترك .

ولقد تجاوز الأمريكيون فيما بعد الدور البريطـــاني لضعـــف تأثيراته .. لبروز الإسلام كمؤثر سياسي في السودان منذ ١٩٦٨م، ثم كان لاستيلاء ضباط الجيش المدعومين الحزب الشيوعي الســـوداني على مقاليد السلطة بالخرطوم في ٢٥-مايو ١٩٦٩ وسيطرة الفكـــر الاشتراكي على الصومال وأثيوبيا ، ووصول معمر القذافي المعـــادي للغرب وأمريكا للحكم في ليبيا دافع آخـــر لها اذ اتضح مـــــدى التغلغل السوفيتي في المنطقة .

[٣] المصدر السابق

لقد كان للإدارة الأمريكية ومنذ الحرب العالمية الثانية ثوابتها المعلومة والمحددة التي تنتهجها في سياستها الخارجية .. وقد إزدادت تحديدا بعد بروز النفط كعامل اقتصادي حاسم .. متمركز في الشرق الأوسط .. و صار محل تنافس مع السوفيت الند التقليدي للولايات المتحدة الأمريكية فبنيت ثوابت السياسة الخارجية الأمريكية على أساس المحافظة على المصالح الأمريكية الحيوية والإستراتيجية بالمنطقة عبر :-

أولا : بسط النفوذ على منطقة الشرق الأوسط ومنابع النفط والمناطق المؤثرة عليها .. وذلك لعدة أسباب :

أ / ضمان الحصول على النفط بالأسعار التي تناسب المستهلك الأمريكي .

ب / إبعاد السوفيت عن المياه الدافئة في الخليج والسيطرة على الممرات المائية الهامة بالمنطقة مثل قناة السويس - والبحر الأحمر ..

ج / خلق أحزمة أمنية متدرجة حول المنطقة الإستراتيجية تشكل خطوط دفاع ضد التمدد الروسي وكان فيها السودان ، وإيران ، وباكستان ..الخ

ثانيا : حماية وضمان أمن إسرائيل :

أ / تعتبر إسرائيل صمام أمان للوجود الأمريكي بالمنطقة وهي الحليف الإستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية .

ب / مخزن للســــلاح يتميز بالتفوق العســـكري والتكنولوجـــي النوعي على المحيط العربي حولها ..

ثالثا الصحوة الإسلامية:-

بعد عام ١٩٧٩م وقيام الثورة الإيرانية أضيف بند هام وهو إحتـــواء الأنظمة الإسلامية والتمدد الأصولي الإسلامي ... ومن أبرز الذيـــن روجوا لهذا المصطلح وحرصوا على إشاعة الخوف من الإسلام الرئيس الأمريكي السابق "نكسون " .

ولتحقيق هذه الأهداف انتهجت الولايات المتحدة أسلوبا محددا عنيت فيه بـــ :-

١ / الاستمرار في إمداد إسرائيل بالسلاح والمال .. لزيادة وتدعيـــم قوتها الاقتصادية والعسكرية وبالتالي تعزيز موقفها السياسي بالمنطقة .

٢ / رعاية الحل السلمي بين إسرائيل والعرب والذي بـــدأ باتفاقيـــة كامب ديفيد ١٩٧٩م بين الرئيس المصري محمـــد أنـــور الســـادات ومناحيم بيغن رئيس الوزراء الإسرائيلي ..حيث قال الســـــادات حينها :

(أن نصف أوراق الحل بيد الولايات المتحدة) .

٣ / دعـــم الأنظمة الصـــديقة والحليفة في المنطقة والضغط على غير ذات الانتماء الأمريكي ...

٤ / تنـــزيل سياسات اقتصاد الســـــوق الحـــر والدعوة للديمقراطيـة والنظام الليبرالي كأسلوب للتحكم وتركيز الإعلام الموجه نحو المنطقـــة حيث الترويج للحياة الغربية ونمط الاستهلاك الاقتصادي المقعد .

أخيرا وبعد بروز مصطلح النظام العـــالمي الجديـــد رفعـــت شعارات محددة لتكون واجهات للسياسة الخارجيـــة الأمريكيـــة .. تتخذها ذريعة للتدخل في شأن الآخر .. مثل شـــعارات (حقـــوق الإنسان ، والكوارث الإنسانية ومقاومة الإرهاب)[1] وبمقتضى البنـــد الثالث عقب ١٩٧٩م .. بدأ السودان يأخذ مساحة أكبر من الاهتمـام الأمريكي بعد إعلان الرئيس" جعفر محمد نميري " للقوانين الإســلامية في سبتمبر ١٩٨٣م والتي بمقتضاها صارت الشريعة الإسلامية هـــي مصدر التشريع والأحكام و ألغيت بموجبها الكثـــير مـــن الثوابـــت الاجتماعية المتعارضة مع الشريعة ومنعت الخمور ، واقتصاديـــا تبـــنى النهج الإسلامي ومنع الربا ... الخ ..

اعتبرت الولايات المتحدة هذه الخطوة أثرا مباشرا لآيات إيران وثورتهم الإسلامية .. التي قادوها وفي إطار احتوائها وحرها كـــانت زيارة نائب الرئيس الأمريكي " جورج بـــوش (الرئيـــس بعدهـــا)

---

[1] / إدوارد جورجيان – مساعد وزير الخارجية – محاضرة عن السياسة الخارجية الأمريكية – واشنطن –١٩٩٢م

للسودان في ١٩٨٥م حاملا قرارات أمريكية تقضي بعدم تجاوز نميري للخطوط الحمراء وضرورة التراجع عن القوانين المصدرة أو تجميدها والقضاء على قيادات الحركة الإسلامية الناشطين ، وبالفعل رضخ الرئيس السوداني جعفر نميري للضغوط وبدأ في تنفيذ المتطلبات الأمريكية حيث لم تمهله الثورة الشعبية في ١٠/رجب/٦/ إبريل/ ١٩٨٥م والتي أطاحت بنظامه .. الذي دام ستة عشر عاما كانت مليئة بإنجازات بنيوية مقدرة وطفرة حتمها الزمن وكذلك أخطاء كبار ... وفوق ذلك خطوة جبارة صارت عقبة كؤود لا يستطيع المراقبون السياسيون أو ممتهني السياسة تجاوزها وهي إعلان سبتمبر١٩٨٣م والقاضي بتطبيق التشريعات الإسلامية في السودان وإلغاء العمل بالقانون الإنجليزي الهندي الذي كان معمولا به قبلها.

وبحلول الثلاثين من يوليو ١٩٨٩م أعلن الجيش عن تمكنه من بسط وجوده على السلطة وعزل المدنين الحاكمين وحل البرلمان .. موردا في البيان الأول أسباب استيلائه على السلطة حيث مرت البلاد بمرحلة حرجة منذ ١٩٨٦م بداية الحكم الحزبي وحتى ١٩٨٩م تاريخ سقوطه فقد إستولت الحركة الانفصالية في جنوب السودان على أكثر من ثلاثة أرباع الجنوب أما غرب السودان فتدور حرب قبلية طاحنة في إقليم دارفور و تدهورت الحالة الأمنية حتى في العاصمة الخرطوم

التي شهدت حوادث إختطاف لم يشهدها السودان من قبل ولقد دفع الموقف الأمني والاقتصادي المتدهور في السودان وضعف الحكومة المركزية ورئيسها الولايات المتحدة لإيقاف دعمها وعونها الاقتصادي للسودان بحجة ضعف الحكومة وعدم مقدرة رئيس الوزراء الصادق الصديق المهدى على التحكم في الأمور و اتهمته بانه لا يحسن الإستفادة من العون الأمريكى ....

لكل هذا ذكر الضباط الجدد انهم رأوا من الضرورة اتخاذ الخطوة تلك لإنقاذ السودان وانهم ضباط وطنيون في المقام الأول .. ومن هنا أطلق على حركتهم اسم (**ثورة الإنقاذ الوطني**) .

كان لنجاح الثورة السلمي في بسط يدها على مقاليد الامور دون رعاية الإدارة الأمريكية أو علمها..وكذلك صيغة البيان الأول للحركة الوليدة دورا هاما في جعل الولايات المتحدة الأمريكية تتوجس خيفة من النظام الجديد ومن توجهاته و صار من وجهة النظر الأمريكية عدوا تجب محاربته واتي منها أسرع ردود الأفعال المضادة ، حيث أعلنت السفارة الأمريكية في بيان صحفي لها عبر نشرتها الإعلامية في شهر يوليو من العام نفسه (إن القوانين واللوائح

الأمريكية توقف المساعدات الاقتصادية والأمنية في ظروف معينــــة [1]) وذلك في إشارة للمادة ٥٣١ من القانون الأمريكي التي تنص علـــى إيقاف المساعدات عند إسقاط الحكومات المنتخبة ؟ فلمــــاذا هــذا الموقف المبادر بالعداء تجاه السودان وهذه السرعة ؟ وكل الأنظمـــــة الحليفة لأمريكا في المنطقة والتي تحظى بالدعم ليست ديمقراطيــــة ولا منتخبة ؟ !! ولكي نفهم الموقف الأمريكي ينبغي إلا نفصلـــه عــن صراع الحضارات المعاصر فما يحصل في السودان لا يتعلـــق بأهلــه والمسلمين فيه فقط بل هي المحاولة الناجحة الأولى التي يصــل فيــها الإسلام بفكره السياسي وطموحه واندفاعه إلى سدة الحكـــم عــبر المؤسسة العسكرية وهو النموذج الأول للدولة تنتهج الخيار الإسلامي في الحكم وهي محسوبة على أهل السنة .. يقودها مثقفون تربوا علــى الأيادي الغربية وتخرجوا في جامعات الغرب ..... وسعى الســـودان لتحقيق النموذج الإسلامي .. وإحتمالات نجاحه فيه بمعطيات العــام ٩٠/٨٩ ... نبه الولايات المتحدة والمعسكر الغربي لخطورة ما يجرى في السودان ..باعتبارية الموقع المؤثر للسودان ..

---

[1] ٣/ م/كوهين – مساعد وزير الخارجية الأمريكي ٩/يوليو/١٩٨٩م – نشرة السفارة الأمريكيه .

فكما قال أحد أعضاء الكونغرس الأميريكي (من يحكم السودان يحكم نصف أفريقيا) ومن يسيطر عليه يتحكم في مدخل مهم لمناطق النفط والبحر الأحمر، وللغرب إستراتيجية دفاعية تقوم على خنق أنفاس أية ملامح نهضوية في العالم العربي الإسلامي ، في مخطط يستهدف إدامة الغلبة العسكرية والسياسية والاقتصادية للعالم الغربي والحفاظ على سطوة القيم الثقافية الغربية ذات الأصول المسيحية - اليهودية على الثقافة الإسلامية والعربية ..

وهناك سياسة دفاعية غربية ضد الاضطراب والتململ في الشرق الأوسط والعالم الإسلامي والذي ستكون محصلته قطعا بدائل تحل محل الأنظمة القائمة اليوم وهنالك مصالح غربية يجب رعايتها وصونها وصمام الأمان لها هو هيمنة السلام الأمريكي وفق شروط اللعبة الأمريكية والتي مهما تحدث الغرب عن الحرية والديمقراطية واستقلال القرار إلا انه يجد نفسه وتحت ضغط ماديته وثقافته منقادا لها

والسلام الأميريكي يحمل في طيا ته فوائد جمة لا غنى للغرب عنها .. الذي يمثل ٢٠ % من نسبة السكان في العالم .. ينتفع وحده بنسبه ٨٠ % من موارد العالم .. وكل نظام دولي يسعى لتحقيق الإنصاف في لتوزيع الثروة العالمية لينال ٨٠ % من البشر حصتهم المستحقة منها في إطار عادل ونزيه تجابهه الدول الغربية بالعداء .

وهناك تجربة سابقة وقفت فيها هذه الدول وأمريكا ضد مقترحات نظام يحقق بعض هذه المتطلبات حينما عرقلت في السبعينات القاعدة العدلية المقترحة في المنظمة الدولية (كل دولة عضو = صوت واحد) واعترضت على إنشاء نظام اقتصادي عالمي جديد عادل تحله الدول الأقل نموا ، وإعترضت على الإجراءات اللازمة لتطبيق مقررات الأمم المتحدة خاصة في فلسطين وكانت كل دولة تسعى لتجاوز الخطوط الحمراء لهذا السلام والاستقرار ذو الخاتم الامريكى تتهم بشق عصا الطاعة والعمالة للشيوعية .. وانتهاك المصالح الأمريكية .. فتخمد تطلعاها وتزهق روحها الثورية وتفرغ من محتواها .. كما حدث مع "الساند ونستا "في نيكاراغوا .. او عنوة يزال نظام الحكم فيها كما حدث "لمصدق"في إيران أو "الليندى "في تشيلي ، ..الخ من المغضوب عليهم من قطب النظام الدولي .. حينها .

بعد ثورة إيران وظهور الإسلام كعامل سياسي فاعل ومحرك للجماهير برز بوضوح إن ٢٠ % من سكان العالم وهم حجم الكتلة البشرية الغربية يرغبون في فرض حضارهم على ٨٠ % من سكان العالم يشكل المسلمون فيهم ٢٠ % ...

إن الاستقرار السياسي الذي يؤدى لتجاوز الحدود الأمريكية ويقوم على بعد حضاري هو الأخطر على الغرب حيث تبرز عناصر

جديدة في الصراع لا تعتمد البعد المادي ولا يشلها الخوف إذ أنها بساطة تدعمها طاقات روحية وإبعاد قيمية وحضارية تحول بينها وبين الإيمان بالإله الأمريكي .. والإسلام هو صاحب هذه القيم والمعاني بأكثر من غيره إن لم يكن متفردا فيها .. وفيه مقومات المنافسة للحضارة الغربية المسيحية – اليهودية) .

ولقد فهمت مراكز القرار الامريكي هذه الخاصية جيدا ووضعت نصب عينيها مجابهة الخطر الحضاري المستمدة حلوته من الإسلام بصورة خاصة .. ومجابهة الصراع الحضاري بصورة عامة ... وعملت على الترويج إلى إن التطور والمواكبة الحضارية المبنية على العلم والتكنولوجية والنهضة الصناعية تمر عبر بوابة الغرب والمفتاح الامريكي ولقد أثبتت الولايات المتحدة .. فشلها هذا .. أمام النموذج الياباني حيث أوضح اليابانيون إن النهضة الصناعية والتطور التكنولوجي والتقدم العلمي ليس قميصا غربيا ولا يشترط لولوج باحته المرور ببوابة الغرب أو حذو خطوات الغرب حذو النعل بالنعل مما يتطلب التابعية وفي دراسة تعد من أهم الدراسات المستقبلية في تاريخ البشرية والتي قام بها المعهد الياباني للبحوث المتقدمة (نيرا) واستمرت لمدة سبع سنوات تناولت التطورات المتوقعة في مجالات التكنولوجيا ..وشارك في الدراسة كل الشركات الكبرى والجامعات

اليابانية وأهم ما جاء فيها أن الهيمنة الأمريكية الحضارية على العالم قد انتهت .. وإننا دخلنا في عالم آخر بني على تعــــدد الحضـــارات .. ويستمر التقرير الذي سمى (**بأجنحة اليابان خلال عقد التسعينات**) فيقول : (إن الحضارة الغربية ما تزال لها منافعها وهذا لا ينكر ، لكن لا يمكن أن نقول إن معاصرة اليابان تعني التغريب ومـــا حـــدث في اليابان ليس هو عملية تغريب وإنما هي عملية تطور ثقافي ياباني)[1].

النهضة الاقتصادية اليابانية في طرف العالم البعيـــد في واقـــع اليابان المفتقر للثروات المعدنية والبـــترول أســـها ، وغير الإستراتيجية نسبيا في موقعها لم تؤثر في الغرب إلا بإفقاده بعض منافذه التســـويقية ومنافسته اقتصاديا وفي عقر داره ولكنها لا تشكل خطرا حضاريـــا رغم كونها (حضارة مغايرة لحضارة الغرب) !! .. فهي لا تعارضـــه ولا تنافس حضارته وهو ما يحدث مع الإسلام ..

لقد فشلت مع الإسلام طوال معركتها مع إيران المستمرة منذ ١٩٧٩م حتى اليوم .. ولكن كما ذكرنا سابقا فان إيران بشـــيعتها وفارسيتها ونظامها السياسي تمثل أنموذجا سياسيا ثيوقراطيا اكثر منـــه أنموذجا حضاريا ..

---

[1] د المهدي المنجرة – كتاب الحرب الكونية الأولى – الطبعة الأولى ١٩٩٠م .

وهذا ما يتوافر في السودان والذي استحق بموجبه الغضب الأميركي بحيث كانت أسرع من الآخرين في تحديد موقعها من النظام السوداني .. الوليد في يونيو ١٩٨٩م .. عبر تصريحات كوهين السابقة وما تلاها من مقررات وخطوات وقرارات .. ويتوافر البعد الحضاري الكافي وحده لجلب العداء للسودان ونظام الحكم فيه ... لما وصفه الأمريكيون بالطموحات السودانية في خلق دور ووجود مؤثر إضافة لما سمي بالمشروع الحضاري الإسلامي الذي تبناه النظام وبموجبه عقدت المؤتمرات المتخصصة والإستراتيجية الساعية لإحداث نهضة اقتصادية وتنموية بالسودان .. ولكن يبقى الخطر في موقع السودان بأكثر من غيره من الأخطار فهو مشرف على البحر الأحمر كما ذكرنا وقريب من مواقع النفط الذي يمثل المصلحة الحيوية الكبرى لأمريكا وهي في جزء حيوي هام من العالم .. يربض تحته احتياطي نفطي هائل الحجم ..(الولايات المتحدة تستهلك من النفط ٢٩ % من مجموع الإنتاج العالمي .. بينما لا يتجاوز عدد سكانها ٥ % من العالم وهي تستورد ٥٠ % من استهلاكها بينما عدد سكان الخليج لا يعادل ١ % من سكان العالم وما مقدار ٤ % من العالم الإسلامي)[٦] .

[٦] د/ المهدي المنجرة .

والولايات المتحدة تشرف على هذا النفط إخراجا وصناعة وتتولى حمايته .. فوجود نظام نموذجي يساهم في تقويض نفوذها عبر خلق التململ واللا استقرار في المنطقة ومن ثم يهدد مصالحها ووجودها هو ما تحرص على تلافيه والقضاء على مسبباته وهو ذات المنطق الذي كان سيتعامل به كل من كان في وضعها إضافة إلى أن منطقة القرن الإفريقي عامة ما غابت يوما عن الإستراتيجية الغربية ولقد شنت الولايات المتحدة حملة منظمة للحد من المد الإسلامي في القرن الأفريقي خاصة وفي أفريقيا على وجه العموم ، عبر تطويق السودان والسيطرة على البحر الأحمر .. فهذه المنطقة تتناوشها النزاعات المتداخلة ويختلط فيها صراع العرق مع المطامع الإقليمية والتنافس الدولي .. ولقد عاشت في نهاية الثمانينات إنسحابا دوليا ملموسا كدليل على فك الاشتباك بين قطبي الحرب الباردة.. ومنذئذ بدأت عجلة دول هذه المنطقة تدور بسرعة على أنغام الحرب والثورة حينا ، وعلى طموحات المجموعات القبلية والعرقية حينا آخر) وتغيرت أجواء الحكم في المنطقة فسقطت الرؤوس الحاكمة واحدة أثر أخرى وحلت أنظمه محل أخرى وفقدت بعض القوى مصالحها لتحل مقامها أخرى ... ونشب النزاع بين القديم و الجديد والمقيم والوافد .. لتكون المحصلة فوضى ضربت بإطنابها على القرن ..وهذا

ما دفع بعض القوى الدولية للتدخل فيـــه بحجـــة حمايـــة المصـــالح الإستراتيجية ، وتسربت خطط تقسيمية للمنطقـــة تراعـــي مصـــالح الاستعمار الجديد وتعضد نفوذ أهل المصلحة .. وضمن ما ظهر (أنـه يحكى عن تقسيم الصومال إلى أربع كنتونات وأثيوبيا إلى منطقتين مـع احتمال فصل أجزاء من جنوبي السودان ومنطقة الأوغادين وكل هذا يدل على أن المنطقة مقبلة على انقسام كبير بمحو الحـــدود القديمـــة وينصب حدودا جديدة لا تتوافق مع الحقائق السكانية بعيدة المدى)[1]

ونشر" جون آينبر" وهو أحد مســـئولي منظمـــة التضـــامن المسيحي في فصلية السياســـة الخارجية الأمريكية مقـــالا دعا فيه إلى (تقسيم السودان إلى أربع دويلات وذلك كحل للتوترات العرقية والدينية فيه ولتفكيك الأصولية الإسلامية المتحكمة فيه .)[2] في ظل التطاحن القومي والقبلي بالمنطقة الذي غير كثيرا في الأنظمة المتحكمـة في المنطقة وقبائلها .. بل وهدد وجود بعضها .

وضع الأمريكيون خططهم للتحكم بمنطقة القرن الأفريقـــي والبحر الأحمر ، فبعد حرب الخليج الثانية أو ما عـــرف (بعاصفـــة الصحراء) صارت هذه المنطقة من أهم المناطق المؤثرة ، فقد تحكمـــوا

---

(1) مجلة البلاد العدد ١١٠ صفحة ٢٥ (ملف الصومال)

(2) جون آينبر مجلة البلاد –العدد ١١٥ ص ٢٦

في الضفة الأخرى من البحر الأحمر التي تمتد حتى الخليج العربي ويدعوا في الإعداد لمد السيطرة على مجمل المحيط الهندى الذي اعتبرته العديد من القيادات السياسية الأمريكيه النافذة (الحوض المائي) الذي تستطيع الولايات المتحدة عبره السيطرة والتحكم في مصير العالم .. بمعنى آخر يتحول المحيط الهندى لبحيرة أمريكية الوجود والنفوذ .. ليس من السهل اقتلاع قواعدهم المحيطة بها وهو ما فطن إليه السعوديون وما عبر عنه وزير الدفاع السعودي الأمير سلطان بن عبد العزيز حينما قال (إننا نأمل بل ونعتزم إستبدال الوحدات الأجنبية الحالية .. غير أن منطقة الخليج ذات إستراتيجية بالنسبة للدول الصناعية وأنها تحمي مصالحها في المنطقة و أنه يبدو لذلك أن لدينا مصالح مشتركة نحاول حمايتها بصورة مشتركة)[٣].

وليس بمستبعد قط ان يأتي من بين الأمريكيين من يقول بأن على دول العالم الحليفة للولايات المتحدة خاصة في الخليج المساهمة في ميزانية البنتاجون الأمريكي بإعتبار إن الولايات المتحدة تنفق على ميزانية التسلح وتطوير ترساناتها العسكرية لأجل الدفاع عن أمن وسلامة تلك الدول !...

---

[٣] الأمير سلطان بن عبد العزيز – لقاء صحفي – الجريال العربي ٢ جمادى الأولى ١٤١٨هـ

وبدأ التدخل الأمريكي في المنطقة بصورة مباشرة وسافرة حينما قامت الولايات المتحدة بإنزال قواتها المسلحة المسماة (بقوة التدخل السريع) في الصومال .. وقدرت بنحو ٣٠ ألف جندي مدعومة بقوات جوية ووحدات خاصة في منطقة لا يتعدى المسلحون فيها ٢٠ ألف مقاتل ..

وبات جليا للمراقبين الصوماليين أنها قوات غازية ودائمة بدأت في إعداد قواعدها العسكرية وأنها أى (أمريكا) تسعى لجعل الصومال بأكمله قاعدة إنطلاق لها بأفريقيا .. بحيث تتدخل حالما يحدث ما لا يتوافق مع مصالحها الإستراتيجية و الحضارية ، وهو وجود يسمح بنشر قوات مقدرة في البحر الأحمر وخاصة باب المندب !! وفرض الوجود العسكري أو النفوذ الأمريكي على الدول المطلة على المسطح المائي .. خاصة اليمن والسودان ، وأسمى الأمريكيون العملية (بإعادة الأمل) ، في الوقت الذي كانت هناك صراعات أفريقية دامية تعاصرت زمنيا مع الصراع الصومالى وكان المعنيون بها والمتضررون هم أيضا يحتاجون إلى من يعيد هم الأمل بوجود الإنسانية المتحابة وانه ما زال في الدنيا بصيص أمل في خير يستحق أن يحيا في ظله .. ولكن تقاصرت العاطفة الامريكيه على الصومال بفضل موقعه الإستراتيجي المتميز على أحد هم الخلجان

البحرية في طرف المحيط الهندي وهو موقع يتيح التحكم في النفط المجاور له حيث ٦٠ % من الإنتاج العالمي .. بينما ليبريا وانغولا ورواندا لا بواكي لها.

وبدأ واضحا كما كتب " كريم بقرادوني " (أن الولايات المتحدة وضعت الشرق الوسط على خط التسويات السلمية ووضعت أفريقيا على خط الحروب العسكرية)[١] .

(١) كريم بقردوني – أحد زعماء حزب الكتائب اللبناني – مقال صحفي مايو ٩٧

الفصل الثاني

السـودان
و
سـياسـة الأذرع الثلاثـة

- الولايات المتحدة والإسلام
- الأمم المتحدة وكعب أخيل
- نحو خارطة سياسية جديدة:-
- الولايات المتحدة وافريقيا
- الحل الأمريكي

الاقتصاد - الأمم المتحدة - القوة العسكرية .. هي وسائل الضغط ا الأفضل والمعتمدة .. لدى الإدارة الأميركيه في سياستها الخارجية والتي تراعي الترتيب والتقدم والتأخير في استعمال هذه الأذرع الهامة ، ويعد السلوك الأميركي تجاه السودان واحدا من أفضل النماذج لدراسة العلاقة التكاملية في استخدام هذه الثلاثية ..

فالسودان دولة ضعيفة اقتصاديا تعتمد على المعونات الخارجية والمساعدات الدولية والقروض البنكية وكان العام ١٩٧٧م هو آخر عهد السودان بالموازنة المتعادلة التي أنجزت حينها بفضل مجهودات البروفيسور / محمد هاشم عوض وزير المالية حينها .. بعدها دخل السودان نفق الدين العالمي والذي لم يخرج منه حتى الآن .. ولم تشهد ميزانية الدولة مواردا حقيقية للدخل القومي حتى قيام ثورة الإنقاذ الوطني ، والتي نجحت في ذلك ..

وكما ذكرنا سابقا في أواخر عهد حكومة السيد / الصادق المهدي المنتخبة !! .. ولضعف السلطة لم تعد الولايات المتحدة تثق في حسن استغلال عطائها فأعلنت حجبها للمعونات عن تلك الحكومة الديمقراطية ، وعند قيام حكومة الإنقاذ الوطني **١٩٨٩م** أعلنت منع المعونات عن السودان مرة أخرى بدعوى تقويض النظام الديمقراطي وهذه مفارقة جديرة بالاهتمام والوقوف عندها !!وفي هذا

المقام نقف على تصريح " جيمس دوتون " كبير أخصائي أفريقيا الشرقية في دار أبحاث الكونغرس ، الذي كان واضحا حينما قال (شرحنا للكونغرس أن السودان مشكلة سياسية ..فمثلا يصل الصوماليون إلى السودان عبر الحدود ، ويقولون أنهم يتضوورون جوعا ، ولكنهم يعودون ببنادق M١٦ بدلا عن الأرز ولكن .. نحن ليس لنا أى نفوذ هناك أو قدرة على الضغط .. ونقطة الضعف الوحيدة للنظام السوداني التي يمكن للولايات المتحدة أن تستخدمها هي فقره !)[١] انتهى تصريح جيمس دوتون والسؤال الذي يفرض نفسه في البدء .. متى كانت للسودان حدود مشتركة مع الصومال ؟!! ..

ومن ثم أعلنت المنظمات الدولية المانحة إيقافها للمساعدات عن السودان حتى تلك التي يستحقها قانونا عبر اتفاقية لومي وذلك تحت ذات الحجة رغم أن هنالك مستفيدين آخرين من هذه المنظمات الدولية .. وهم بذات الوضع السوداني .. وهذا يشمل كل الدول الأفريقية جنوب الصحراء مع إستثناءات قليلة ، كما مارست الضغوط على الدول المانحة للعون حتى تحجبه عن السودان ، وتلقائيا أوقفت المعونات عن السودان بصورة كاملة مما عزز لديه نزعه

---

[١] مجلة البلاد – ملف خاص حول تقسيم السودان – مارس ١٩٩٧م .

الاعتماد على الذات .. وكان في فشل أنماط التنمية الاقتصادية في بلدان العالم الثالث والقائمة على المعونات والمساعدات التي لم يكن لها نواتج إيجابية فاعلة وملحوظة ، بل أدت إلى تعميق الهوة بين الأغنياء والفقراء في تلك البلاد .. وحذرت وجود ونفوذ الشركات متعددة الجنسيات ذات الرساميل الغربية والتي عملت على امتصاص رحيق ثروات تلك الدول ... وهو عين الدور الذي مارسه الإستعمار ... كان هذا الفشل التنموي دافعا للسودان للاستغناء والزهد نسبيا في تلك المساعدات حيث تبنى مشاريع الاكتفاء الذاتي خاصة في الغذاء ، وعمل على الحد من الإستهلاك البذخي عن طريق فرض الضرائب على الكماليات ، ودعم الصادرات ، وخفض الإنفاق الحكومي ، والتخطيط لاستغلال ثروات البلاد المعلومة ، وتحديد أولويات الإستفادة من القطاعات الإقتصادية المختلفة ، إضافة إلى حزمة من السياسات والمعالجات الاقتصادية ، وبات واضحا أن الضغوط الإقتصادية لن تسقط النظام ولم تروضه .. ومن ثم بدأ المخطط الضخم والمتناسق مع نظرية " النظام العالمي الجديد " الأمريكية والقاضية بخلق كيانات عرقية ضخمة وإعادة تقسيم العديد من دول العالم بخاصة في أفريقيا ذلك المنجم الوافر الثروة والغنى .. والسودان ليس بعيدا عن تلك المخططات .

أن سياسة التقسيم والبلقنة للقارة الأفريقية المشهورة بثرواقها الخام الثمينة من المعادن وبحظوظها الوافرة من المواقع الإستراتيجية .. الهامة قديمة العهد .. قدم الإستعمار فقد طمع فيها وحرص عليها الاستعماريون والإمبرياليون وذلك لسلب واستغلال القارة البكر في كل شئ في طبيعتها الغنية ، فقرها التكنولوجي ، وعدم نضجها العلمي ، وقلة الخبراء وأهل الاختصاص فيها ..

وبعد ظهور حركات التحرر المنادية بالاستقلال والحرية خاصة في عقد الستينات أجبر الاستعمار على الجلاء عن القارة ونالت استقلالها ولكن كما قال الرئيس السنغالي" ليوبولد سنغور" : (إن الاستعماريين على استعداد أن يمنحوا الاستقلال لمن يشاء ، بل ويمدونه بالمعونة المالية ، ولكن خططهم الميكافيلية لا زالت تهدف إلى تقسيم الأفريقيين كي يظلوا أسياد للقارة) [1] .

كما تحدث آكو اديجى[2] عن أنه ورغم اضطرار الدول الاستعمارية الأوربية وتحت ضغط الوطنيين الأفارقة لمنح الدول استقلالها إلا أنها (مع ذلك تبني خططها على استمرار السيطرة على

[1] ١/ خطاب الرئيس سنغور – المؤتمر العربي الإفريقي الأول – داكار – ١٩٧٦م .

[2] آكو اديجى – وزير خارجية غانا في الستينات

أفريقيا بواسطة طرق جديدة للسيطرة الأجنبية وهى بلقنة افريقيا)
(٣)

وأثبت كلا الرجلين بعد نظر وفراسة صادقة ... ويبدو أن العالم الغربي قد طور نظرية البلقنة الإفريقية منذ الموجات التحررية في الستينات وإبان الإستعمار المباشر ، لتكون نظرية متكاملة يتعامل بها مع معارضيه في مختلف أنحاء العالم .. حيث طالت النظرية الدول المستقلة في التسعينات .. والتي أظهرت تمردا على السلام الأمريكي المضاد للا استقرار .. المفضي لبروز الثورات المضادة له .. فكانت خطة تقسيم العراق في البدء .. وذلك بتحريض الأكراد[٣] العراقيين بالسعي للإنفصال عن بغداد مغتنمين ضعف السلطة المركزية بعد حرب الخليج .. ولكن جوبه الأمريكيون برفض جارات العراق برغم مساندتها للولايات المتحدة " تركيا " ، أو عدائها للعراق.. " إيران " ، إلا أنهن ولوجود اقليات كردية بهن تسعى لقيام دولة كردية مستقلة ، عارضن المشروع الأمريكي .. مما عجل بصرف النظر عنه .

---

(٣) خطاب آكو ادجي – وزير خارجية غانا – مؤتمر الدول ألا فريقيه المستقلة – أديس أبابا ١٩٦٠م

(٣) الأكراد– احدى العرقيات السكانية غير العربية او الفارسية وهم من العرقيات القديمة في آسيا الوسطى – يبلغ تعدادهم حوالي ١٥ مليون نسمة – موزعون في العراق وتركيا وإيران وهناك اقليات كردية في سوريا وأفغانستان والأردن

وعاد المخطط مرة أخـــرى للإختصـــار في أفريقيـــا إذ أن متطلبات النظام العالم عنيت كثيرا بوضع خريطة سياســية جديــدة لأفريقيا باعتباريه أساسية تقول بأن : بنية القارة السياسية الحالية هــي صنيعة غربية ناجمه عن الحقبة الاستعمارية كما أنها حديثــة بمقــاييس الزمان والتجارب .. إذ برزت في فترة العشرينات وما قبلها بقليـــل ، فهى تقسيمات أسست على عرقيات ومصالح اقتصادية للمســتعمرين حتى ظهرت مسميات مثل الصومال الفرنسي ، الصومال الإيطــالي .. الخ .. وكذلك السودان الفرنسي والسودان الإنجليزي ...فإذا كنــت الذي وضع الحدود وأسس و أقام الوحدة السياسية فبإمكانك التعديل فيها وبالأسس التي تتلاءم معك .

ففيما مضى كان تقسيم العرقيات على دويلات مصنوعـــة يعني إحداث حالة من عدم الاستقرار والضعف حيث يسلط ســيف التقسيم ورغبات الانفصال العرقي على الدولة فيضعف قواها..ويهلك ثروتها ، ويفقدها خيرة شبابها ، ومجتمعها المتماسك الــذي يذهــب الكثيرون فيه وقودا للمحرقة العرقية وتتقوقع في الموقع الذي اختــاره لها المستعمر حين أراد لها الانشغال عن التنمية السياسية والاقتصاديـــة بالمشاكل والصراعات العرقية.

في التسعينات ، وبعد دراسات وافية عدل في التصور القـــديم ليتلاءم مع الإستعمار الحديث الحريص على الاحتفاظ ببعض ســـوابق سلفه ، التي أهمها الاستمرار في الإستفادة مـــن الضعـــف والتمـــزق الأفريقي لسرقة القارة ومواردها ، وزيادة مساهمتها في الإقتصاد العالمي بتحويلها من كونها مورد للمواد الخام لتكون كذلك سوقا استهلاكية تستقبل الإنتاج الغربي ، مع العمل في ذات الوقت على كتم أنفـــاس التغيير أو محاولات الإستفادة من الثروات الأفريقية الكامنة ، وهو مـــا تجسد في نموذج السودان ، الذي إختط نهجا إستقلاليا يرفع شـــعارات الاعتماد على الذات وحرية القرار ، والتحاوز المهم والجديـــد ، هـــو سيره خطوات في سبيل تنزيل تلك الشعارات علـــى أرض الواقـــع ، وحرصه على الغوص في مضمون الأشياء .

وفي غرة يناير من العام ١٩٩١م في سياق إعـــلان تثبيـــت العمل بقوانين الشريعة الإســـلامية التي اختير الفاتح مـــن ينـــاير لإعـــلانها والذي يوافق اليوم الوطني للاحتفال بذكـــرى اســـتقلال السودان ، ركز رئيس مجلس قيادة الثورة حينها الفريق عمـــر حســـن احمد البشير في خطـــابه ، وفي رمزية دالة على الربط بين الاســـتقلال والقانون الإسلامي ، حيث أعتبر الحدث هو الاســـتقلال الحقيقـــي للسودان .

هنا اتضح جليا سعي السودان لجعل اســـتقلاله عميقـــا وذا مضمون بعيد يطال القانون ومن ثم المجتمع ليقاد نحو وجهة أخـــرى .. مهما كان اختلاف الناس حولها إلا أنها ولت بوجه الســـودان عـــن الغرب وقوانينه وعاداته ... بصورة قاطعة ..وهي تعني بكل بســـاطة الخروج عن النص الإمبريـــالي الذي جعل من استقـــلال الـــدول في العا لم الثالث خاصة أفريقيا مسرحية مشاهدة تقدم بلغة ركيكة وليـــس واقعا معاشا .

وهذا ما يشكل خطورة على الغرض الغربي ولا بد من بـــروز خطه دفاعية بجابه بها مثل هذا التحول .. فنجاح التجربة الســـودانية بوضعية السودان الجسرية بين أفريقيا والعـــا لم العـــربي ، والإســـلام والمسيحية ، ووسطية الطرح التأصيلي الذي تتبنــــاه الدولـــة يجعـــل احتمالات التأثير على المستويين الإفريقي والعربي واردة بشدة ويكـــاد المراقب السياسي والمعتبر بالتاريخ أن يكون على ثقة منها .. ومـــن ثم تهدد الدعائم التي أستند عليها الغرب في تحقيق مكاسبه المتقادمة مـــن القارة الأفريقية .. والتي عليها أستند عمقه الاقتصادي المعتمد علـــى حقول النفط ونفوذه المبسوط عليها ، إضافة إلى ذلك هنالك خطـــر تمدد الإسلام في القارة التي تتميز المسيحية فيها ورغم انتشارها الواسع بالهشاشة إذ ما تزال السطوة الكبرى فيها للمعتقدات الروحانيـــة ...

والإسلام من الأديان السباقة إلى نفوس الأفارقة الذين يعتنقونه بالأفواج .. سياسيا من ضمانات السيطرة الغربية على القارة نفوذ الكنيسة المتجذر في أجهزة السلطة وانتشار الإسلام يقلل من ذلك النفوذ المعتمد على الاقليات المسيحية المتعلمة .. وبالتالي يصب الأمر في خانة تهديد المصالح الغربية لذا كان القرار الدفاعي بمجابهة الظاهرة السودانية وكان "غاري غرانت" .. مدير الشئون السودانية في وزارة الخارجية الامريكية .. معبرا جيدا عن النفسية الامريكية في التعامل مع السودان حيث قال (اعتقد أن هناك مبالغة في تصوير الدور الخطر الذي يمكن للسودان أن يقوم به .. ولهذا فان ما يلزم هو الوقاية بدلا عن العلاج لكي لا تتطاول الحكومة السودانية وتصل جهودها لزعزعة الإستقرار في دول أخرى .. إلى كينيا – وأوغندا ... إن مصر قادرة على العناية بنفسها .. ولكن النظام السوداني لديه القدرة على إثارة المشاكل والاضطرابات في شمال أفريقيا – إلى المغرب العربي – وفي شرقها .. ويجب العمل على ردع النظام السوداني ومنعه عن إلحاق الأضرار بدول أخرى)[1].

والمعنى واضح لابد من القضاء على الظاهرة المهددة للنفوذ الأمريكي ليس للخطر الحالي ولكن للتبعات المستقبلية .. وقد كان ..

---

[1] ١/ مجلة الوسط – العدد ٤٩ – ٤/يناير/١٩٩٣م – غاري غرانت تصريح خاص للمجلة .

بدأت الحرب الوقائية الأمريكية ضد التمرد السوداني .. عبر عدة محاور كان أولها كما ذكرنا استخدام الذراع الاقتصادي .. والتضييق على السودان بحرمانه من المساعدات والقروض ، المحور الثاني الذي اعتمد عليه الأمريكيون هو محاصرة السودان عبر فرض طوق من العزلة الإقليمية عليه ... وتصوير السودان كمهدد للأنظمة الحاكمة المجاورة له ... وانه يسعى لتصدير مشروعه الحضاري الإسلامي إليها ... والذي يهدف بتوجيه إلى تغيير تلك النظم وتحويلها إلى أنظمة إصولية تهدد السلام العالمي ... وصرح "جورج موس" مساعد وزير الخارجية الأمريكية للشئون الأفريقية (إننا عملنا من أجل قيام تعاون ثنائي مع الحلفاء في محاولة لفرض عزلة على الخرطوم بالجهود الدبلوماسية لوقف وصول الدعم والشحنات العسكرية إلى السودان)[1] .

تتركز الجهود الأمريكية على دول الجوار المباشر للسودان والتي أطلقت عليها اسم دول المواجهة (مصر/أوغندا/إرتريا/إثيوبيا) ... سعيا للضغط على السودان من جهة حتى يتراجع .. وعلى الدول العربية والإسلامية حتى تحد من علاقتها به .. واستمرت في تشويه صورة

---

[1] مناقشة توصيات لجنة الشؤون الإفريقية مع الرئيس كلنتون .

السودان إعلاميا باتهامه برعاية الإرهاب وإيواء الجماعات الإسلامية المسلحة التي لها نشاطات سياسية ضد الأنظمة الحاكمة في بلدانها وقد تركز الحديث حول الجماعات الإسلامية المصرية و حرص الأمريكيون على تدمير العلاقات السودانية المصرية .. ووضع مصر على رأس القائمة المعادية للسودان .. وهم يعلمون جيدا أنهم ما كانوا في حاجة لبذل كبير جهد في ذلك .. فحكام مصر ليسوا في حاجه لحرض ضد السودان .. لأسباب محددة خاصة بالعلاقات السودانية المصرية ...

أولا : إن السودان منذ عام **١٨٢١م** غداة اصبح محمد علي باشا حاكما للسودان من قبل الدولة العثمانية .. فغزاه واحتله ، منذئذ وحتى **٣٠/ يونيو /١٩٨٩م** ظل السودان تابعا لمصر بصورة أو بأخرى ، يطل على العالم عبر الكوة المصرية ويأتمر بأمرها والقرار السوداني رهين بالرأي المصري .

ثانيا : ظلت مياه النيل وقضايا الري والتجارة والعلاقات الخارجية هي أولويات مصر في السودان ،وقيام نظام قوى في الخرطوم يعني زعزعة النفوذ المصري في هذه المجالات الحيوية والهامة ..

ثالثا : قيام نظام حاكم في السودان يتبنى الطرح الإسلامي يعتبر دافعا للحركات الإسلامية المصرية التي تخوض صراعا

مسلحا مع حكومة مصر منذ أواخر عهد "السادات "وتنادي بتنزيل أحكام الإسلام يعني حجة قوية لهم بمواجهة الحكومة المصرية .

رابعا : ما يتبناه السودان من نهج إستقلالي وسياسات إقتصادية إكتفائية وإحتمالات تأثر بعض الأنظمة العربية به ... ينعكس سلبا على السطوة السياسية المصرية على الدول العربية خاصة الخليج .. وهو ما لا يرضي مصر وقبلها أمريكا ...

بالنسبة للأمريكيين فإن الدور المصري في الضغط على النظام السوداني أو إسقاطه لا غنى عنه ذلك لموقع مصر التي تمثل السودان البوابة الجنوبية لها .. وعبره تأتيها مياه النيل حيث يتشاركان فيها ، ولمصر تأثير هام على السودان خاصة وأفريقيا بصورة عامة ... لذا كان من الأهمية بمكان الإستفادة من الحذر المصري تجاه نوايا السودان ..ودفع العلاقة بين البلدين بكل أبعادها لإستراتيجية والتاريخية نحو العداء والمفاصلة ،ويوقن الأمريكيون أن هم مصر الأساسي هو المياه وليس الإسلام وما تقوله عن رعاية السودان للإرهاب ما هو إلا دعاوى للاستهلاك السياسي تخفي بها حرصها و مطامعها في مياه النيل .. ومصر تعرف عدم مقدرتها على السيطرة على الحكومة الحالية وفي ذات الوقت لا تثق في إرتريا

وإثيوبيا ذواتا الأطماع والمصالح المتعارضة مع مصالح مصر حول مياه النيل لذا كان أمام مصر أحد خيارين ، أما التعامل مع الحكومة الحالية رغم المحاذير المحيطة بها ، إذ من الأهمية بمكان التنسيق مع نظام قوي ومقتدر يمكن أن يكون سندا معينا إن حزب الأمر في ظل التغيرات الدولية المتوقعة في المنطقة عامة والقرن الإفريقي وحوض النيل بصورة خاصة ، وقد بدأت بوادر لمحاولات للضغط إلى مصر عبر إستعمال ورقة مياه النيل بعد التدخلات الإسرائيلية في المنطقة وتمويلها لمشاريع مائية ضخمة عند المنابع العليا للنيل في الهضبة الإثيوبية ، وإعلان إثيوبيا أكثر من مرة عدم إعترافها باتفاقية مياه النيل وبالتالي عدم إلتزامها بها وهو الأمر الذي إن تم يؤثر على مصر بأكثر مما يفعل في السودان ، والخيار الثاني هو الإطاحة بحكومة الخرطوم الحالية عبر تحالف لقوى المعارضة السودانية شمالية وجنوبية تحت الوصاية والرعاية المصرية .. وهو الخيار الذي عزم الأمريكيون على ترجيحه ودفعه وقد أثمرت جهودهم في ذلك بعد المحاولة الفاشلة لإغتيال الرئيس المصري " محمد حسني مبارك " في العاصمة الأثيوبية أديس أبابا ، والتي اتهم فيها السودان دونما سند أو دليل وبلا موضوعية من قبل الحكومة المصرية ودعمتها الولايات المتحدة في موقفها . حيث ازدادت الحملة ضد

السودان شراسة ودولـت القضية ذات الطابع لإقليـمي ورفعـت إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة .. وبموجب هذه المحاولـة وضـع السودان على قائمة الدول الـراعية للإرهاب وهي القائمة السـوداء لدى حكومة الولايات المتحدة الامريكية بناءا على توصيـة واردة في تقرير" معهد بروكسنيغز" الأمريكي الشـهير الـذي يلعـب دورا إستشـاريا هاما لدى إدارة الرئيـس "كلينتون "حيث يقـول التقـرير : (قد لا يكترث النظام في السودان كثيرا بـالرأي العـام العالمي ، ولكنه بكل تأكيد في حاجة إلى البنك الدولي وصندوق النقد الدولي .. كذلك يجب إدراج السودان على قائمه الدول الإرهابيـة لحرمانه من إمتيازات إقتصادية وتجارية) .

وقد كان ، و القائمة السوداء هذه هي قائمة كل أعضائـها عدا "كوبا وكوريا الشمالية" من الدول الإسـلامية وقـرار الإدارة الامريكية تجاه السودان ضعيف لا تسنده الأدلة وأفتقـر في صياغتـه للمبررات الموضوعية ولكنها قصـدت منه توجيه إنذار وتهديد لكـل الدول المتطلعة لنظام عالمي عادل .. إنه لا نظام إلا نظام أمريكـا ولا سلام إلا السلام الأمريكي الذي يؤسس على حجر حريـة القـرار السياسي وضد الإعتماد على الذات ... وبالتالي عدم نهضة وتطـور

تلك الدويلات التي لا يحترم النظام الجديد كينونتها ولا حدودها كما ورد في تصريح "هنري كوشنير" السابق .

الولايات المتحدة والإسلام :

بعـد وضع السودان في قائمة الدول الإرهابية التي تضم مـع السودان ، العراق ، إيران ، ليبيا وسوريا —تعالت الأصوات القائلـة بالإستهداف الأمريكي للدول الإسلامية وهـذا مـاحدا بـالإدارة الامريكية إلى توضيح موقفها من الإسلام حتى لا تضع نفسها في خانـة العداء للإسلام وحتى لا ينالها الغضب الشعبي الإسلامي .. بما يـهدد مصالحها وعلاقاتها بالدول الإسلامية فسعت لإنتهاج سياسة مدروسة مع الإسلام عبر تقييمها للدور الذي يلعبه الإسلام في السياسة والثقافـة وحركة المجتمع في العالم العربي والإسلامي عامة وفي الشرق الأوسـط خاصة ، فأبرزت في توضيحـها مصطلحـي **الإسـلام والإسـلام السيـاسي**... الذي يرى الباحثون الأكاديميـون والسياسيـون الأمـريكيون أن جاذبيته متنامية ... وقد إعتمدت الإدارة الامريكية في سياستها تجاه العالم الإسلامي قاعدتين أساسيتين للتعامل مع الإسلام تكفـل لهما .. عدم إبرازها في هيئة المعـادي للإسـلام وفي ذات الوقت تيسر على نفسها محاربـة الإسـلاميين وضـرب تنظيمـاتهم وأنظمتهم إن وجدت :-

القاعـــدة الأولى : ليس هنالك من مبدأ أساسي للتعـامل مع الإسلام إذ (وفي الحقيقة لا تصنيف سياسي لدينا نطلـــق عليـه الإسلام السياسي)[1] .

القاعـــدة الثانية : إن التيار الإسلامي يصبح محل الإهتمام الأمريكي فقط.. حينما يمس بصـورة مباشرة أحـــد الأهـــداف أو المصالح الأمـــريكية أو يتعارض مع سياساتها ، وأكد "روبرت بليترو" (أننا لا نسعى تلقائيا لإقصاء الإســـلاميين المعتدلـــين والمتسـامحين والمسالمين الذين يسعون لتطبيق قيمهم الإسلامية الدينية على مشـاكل سياسية داخليـة وعلى السياسة الخارجية ، ولكنا نعارض معارضـة شديدة الإسلاميين الذين يدعون للتعصب)[2] وحرص "بليترو" علـى التأكيد بأنهم (لا نعامل التيار الإسلامي بصفته حركة سياسية واحدة موحدة تعارض الغرب بشكل عنيد)[3] .

---

[1] روبرت بليترو – مساعد وزير الخارجية الامريكية لشئون الشرق الأوسط – تقويم للدور الذي سيلعبه الإسلام في سياسات وثقافات ومجتمع الشرق الأوسط – أمام مجلس العلاقات الخارجية – نيويورك .

[2] المصدر السابق .

[3] المصدر السابق .

الدلالة الهامة الأولى من هذه التوضيحات والملاحظات الأمريكيـــة أن الخشية من استعداء العالم الإسلامي .. والشعوب المسلمة هـــي الـــتي حتمت عليهم إبداء مثل هذه التوضيحات ..

ـــ ثاني الدلالات الهامة أن أميركا تعد نفسها ناطقة باســـم الغـــرب المسيحي بأكمله وحامية له وبالتالي مدافعة عن مصالحه ..

بعد هذه التوضيحات لموقفها تجاه الإسلام شعرت الولايـــات المتحدة التي تعاملت مع السودان بمنطق العداء والحصار أنها قد فصلـــت السودان عن عمقه الإسلامي بإخراج مواقفها منه من جبة العـــداء الديني ، وقبلا أضعفت علاقاته الجوارية مع محيطه .. تارة بالترهيب من العدوى السودانية المهددة لكراسي الحكم وتركيبة الدولة التي هي هشة في أفريقيا بالأصل ... وتارة أخرى بالترغيب في المساعدات والمعونات الأمريكية إن هي توافقت مع خططها وإلا فالويل والثبـــور ... فـــلا ملجأ من أمريكا إلا إليها في ظل النظام الأحادي الذي أفقد الـــدول الصغيرة إمكانيـــة المناورة .. خاصة في القرن الأفريقي الذي تنقل بـين الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي ، بحسب مصالحـــه ومـــزاجات الربان كل حين وبالأخص إثيوبيا ...

بعد إستكمال حلقات الحصار الإقليمـــي عمـــل الإعـــلام الأمريكي على تشويه صورة السودان خارجيا عبر إظـــهار وتصويـــر

الصراع المسلح الدائر في جنوب السودان بإعتباره حربا بين الشـــمال العربي المسلم الذي يقود حربا دينية وعرقيـــة تسـتهدف الجنـــوب المسيحي الزنجي الأفريقي ،و توإلى الحديث عـــن حقـــوق الإنســـان المهدرة والمنتهكة في السودان بعدما مارست حكومة السودان المستقل صاحب السيادة، سلطاتها التي كفلها لها القانون الدولي في التعامل مع قضايا سيادتها و أمنها بما تراه متاســـبا للحفـــاظ علـــي كينونتـــها وسلامتها.. وذلك عندما ألقت القبض على أحد رعـــاياها" تومـي" و الذي يحمل جنسيتها وان كان عاملا في هيئة المعونة الامريكية وقـد اتهم بالتجسس لصالح جهات معادية لبلاده وانه يقوم بما يهدد وحدة تراها .. وبعد المحاكمات القانونية والمشروعة لأي دولة ذات ســـيادة صدر الحكم بإعدام المذكور ،فاعتبرت الولايات المتحدة وعلى لســـان المتحدث الرسمي لوزارة خارجيتها الأمر إنتهاكا لحقوق الإنسان !!

وتبعا لذلك ظهرت إحـــدى اذرع السياســـة الخارجيـــة الأمريكية وهي الأمم المتحدة والمنظمات الدولية حيث أدانت منظمـــة العفو الدولية (آمنستى) سجل حقوق الإنسان بالسودان وعينـــت مندوبا خاصا لها للسودان وهو " كاسبر بيرو " والذي زار الســـودان وتجول حيثما أراد ثم أصدر تقريرا أساء فيه إلى الشريعة الإســـلامية والمعتقدات الدينية للمسلمين وأعتبر الشريعة قوانين تتعـــارض مـــع

حقوق الإنسان ، مما حدا بالحكومة السودانية لإنتقاده ورفض استقباله مرة أخرى ما لم يتراجع ويعتذر عن تصريحاته وهذا ما اضطر إليه مبررا الأمر بجهله للإسلام ! .

وواصلت الآلة الإعلامية الأمريكية ضخ المعلومات المغلوطة عن حقوق الإنسان بالسودان وفي ٣١/مارس/١٩٩٥م قامت السيدة "مادلين أولبرايت" مندوب الولايات المتحدة للمنظمة الدولية بزيارة للسودان كان من أهم ملامحها مناقشة ملف حقوق الإنسان في السودان الذي لا ترضى عنه الولايات المتحدة ولا المنظمة الدولية على حد تعبيرها .. وتعرضت بالحديث لإضطهاد الجنوبيين المسيحيين .. بإعتبار انهم يعنون الحكومة الأمريكية وهي تدافع عنهم أمام حكومة السودان التي تهدم منازلهم وقراهم وتطردهم خارج الخرطوم في إشارة إلى حملات وزارة الإسكان على السكن العشوائي ضمن الخطة العامة لإعادة تأهيل وتنظيم العاصمة الخرطوم ... حيث تمت إزالته وسكانه جنوبيون وشماليون ،وهؤلاء الأخيرين استقروا فيه منذ سنوات القحط والجفاف في منتصف الثمانينيات حين شهدت العاصمة أمواجا من الهجرات لمواطني الشمال المتضررين من المجاعة الجائحة آنذاك .. وبمرور السنوات تحولت مناطق هجرتهم إلى حزام من السكن العشوائي غير المخطط وغير الصحي يحيط بالخرطوم إحاطة السوار بالمعصم يضم

شماليين وجنوبيين ،مسلمين ومسيحيين ... ثم نقلهم جميعـــا في إطـــار التخطيط إلى مناطق مهيأة ، بها خدمات المياه والصحـــة ومشـــاريع للكهرباء وقد زارت الوزيرة الأمريكية المدن الجديدة .." كنار السلام "وتعويضات منطقه" الخدير" بأم درمان ... ولكنها ما أن وصلـــت للعاصمة الكينية لنيروبي حتى أدانت سجل حقوق الإنسان بالســـودان وتعهدت بحصار السودان وإغلاق حدوده عليه كما أغلقت معطفـــها لحظتها و علقت بقولها (I can close Sudan like this) .

ويبدو أن ما أثار المندوبة الأمريكية أنها تعرضت خلال لقائها برئيـــس الجمهورية إلى ضرورة إلغاء الشريعة الإسلامية، الأمر الـــذي حـــدا بالرئيس إلى زجرها بإعتبار الأمـــر أمرا سيـــاديا وعقائديا لا يعنيـــها ... وهـــذا ما زاد من ضراوة الإعلام الأمريكي ضد السودان ...

الأمم المتحدة وكعب أخيل[1] :

شكلت محاولة إغتيال الرئيس المصـــري بـــأديس أبابـــا في ٢٦/يونيو/١٩٩٥م سانحة ذهبية للولايات المتحدة للمضي قدمـــا في خطتها الدفاعية ضد التمدد الإسلامي والتهديد الحضاري للقيم الغربية ذات الأصول الثقافية (المسيحية واليهودية) .. وقطعت بها شـــعرة

---

(١) أخيل –شخصية أسطورية يونانية لفارس أمه من الآلهة– غسلته في الماء المقدس لتضمن له الخلود والآ يقتل ولكنها نسيت كعب رجله الذي امسكته منه حينما غمسته في الماء فكان فيه مقتله .ويضرب به المثل في أن الحذر لا يمنع القدر

معاوية التي ظلت تصل بين السودان وجارته مصر .. وكانت تلك البداية الأولى لإستمرار حيرة السودان لمحاقته وتشديد الخناق عليه .

فقد سارع الرئيس المصري بعد سويعات من تعرضه للحادثة وفي المسافة التي قطعها الطيران من أديس أبابا إلى القاهرة لإتهام السودان بتدبير محاولة إغتياله دون إبداء مبررات موضوعيه أو دلائل أو إتهام من قبل الحكومة الأثيوبية التي كانت تلاحق المتهمين حينها وتحلى الضحايا من الأمن الأثيوبي ... وبالرغم من إعلان الجماعة الإسلامية المصرية المسلحة لمسئوليتها عن الحادثة وتأكيد الحكومة الأثيوبية أن ثلاثة من المتهمين مصريي الجنسية وأنهم المسئولون عن الحادث .

إلا أن الحكومة المصرية والإعلام المصري والبا الطرق على إتهام السودان وتحميله للمسئولية عن المحاولة و في الثامن والعشرون من يونيو عام ١٩٩٥م طالبت أثيوبيا السودان بتسليم ثلاثة مصريين يشتبه في ضلوعهم في المحاولة التي تعتبر امتدادا لحلقات الصراع الدامي بين النظام المصري والحركات الإسلامية المعارضة له منذ إغتيال الرئيس الأسبق" محمد أنور السادات" في السادس من أكتوبر عام ١٩٨٢م على يد تلك الجماعات . التي عملت كما أسلفنا على ضعضعة أركان الأمن المصري .. وإحراج الحكومة المصرية بصورة متواصلة ... لم تبدأ

محاولة الإغتيال ولن تنتهي عندها.. ويتضح ذلك في العديد من الشواهد أظهرها معدلات السياحة في مصر أحد أهم موارد الخزانة المصرية حيث شهدت إنخفاضاً حاداً نتيجة لعمليات الجماعات المسلحة ..

وقد دفع الموقف المتسرع للحكومة والإعلام المصريين الحكومة الإثيوبية في بيان لها في ٣٠/يوليو/١٩٩٥م إلى إنتقاد الحكومة المصرية ووصفها بالكذب وإختلاق الروايات غير الحقيقية (أن الشهية المصرية حول الجريمة الإرهابية لاحدود لها وقد وصلت في هذا المنعطف حداً لم يكن أمام أثيوبيا إلا تصحيح الحقائق)و إختتمت وزارة الإعلام الأثيوبية بيانها(داعية السلطات المصرية للكف عن حملة الأكاذيب والتشهير التي تعلم وحدها دواعيها ... كما جاء في نص البيان)[1] .

وهنا كانت الحكومة الإثيوبية صادقه وموضوعيه إلا أن الموقف وفي سرعة فائقة تحول إلى الضد (مما يوضح أن إتجاهات الموقف الإثيوبي بدأت تتجاوز ظرفيات القضية التي محلها الإطار الثنائي ومرجعها إتفاقية موقعة بين الطرفين ، إن السلطات الإثيوبية إتخذت إجراءات تصعيدية حيث قامت بتقليص التمثيل الدبلوماسي من جانب

---

[1] – فاطمة سالم – قضايا في ميزان العدل الدولي – ص ٩ .

واحــــد ، وإغــــلاق مكاتب منــظمات الإغاثــة الســودانية ، وإبعاد العاملين بها ، وإيقاف الرحلات الجوية بين الطرفين وإغــــلاق المدرسة الإسلامية) [٢] .

ثم تــولت عـــرض القضية عــلى آلية فض النزاعــات في ١١/ سبتمبر/١٩٩٦م وبعدها عرضتها في مجلس الأمن وكان حينــها برئاسة " والإتحاد السوفيتي " الذي إعتبر أن مقام الشكوى ليس مجلس الأمن ، لم تتوافر بها عناصر أنها شكوى ضــد الســودان لضعفــها وإفتقارها للبراهين والأدلة .. فأرجعــت الشكوى حتى عرضت مـــرةً أخرى في ٦/يناير/١٩٩٦م حين تولت بريطانيا رئاســة المجلـــس .. فوافقت على إدراجها وكان في الأمر تجاوز لمنظمة الوحدة الأفريقيـــة التي دعت إلى ضرورة حل المشكلة في إطارها الإقليمي ولكن ، لم يؤبــه للرأي الإفريقي وأصدر المجلس القرار ١٠٤٤ ..

<u>القرار ١٠٤٤:</u>

عبر عن إنزعاج مجلس الأمن البالغ لإستمرار أعمال الإرهــاب الدولي .. وضــرورة التصدي لها .. وأكد الحاجة الماســة للتعــاون الدولي من أجل القضاء على الإرهاب .. وشجب جزعــه للمحاولــة الإرهابية لإغتيال رئيس جمهورية مصر العربية ..وإقتناعــه بضــرورة

[٢] -فاطمة سالم – قضايا في ميزان العدل الدولي – ص ١٥ .

تسليم الفاعلين مع علمه بإعتبار الدورة الإستثنائية الثالثة لآلية منظمة الوحدة الأفريقية أن الاعتداء لم يستهدف حياة الرئيس المصري فقط ولا سيادة أثيوبيا واستقرارها بل كل أفريقيا ..

ويأسف لأن حكومة السودان لم تمتثل حتى الآن لطلبات الجهاز المركزي لمنظمة الوحدة الإفريقية الآمرة بتسليم المتهمين ، كما أدان القرار المحاولة وشجب الإنتهاك الصارخ للسيادة الأثيوبية ... وأثنى على جهودها وطالب حكومة السودان بتسليم المتهمين " والكف عن القيام بأنشطة المساعدة ودعم وتيسير الأنشطة الإرهابية وعدم توفير الملجأ والملاذ للعناصر الإرهابية والتصرف في علاقاتها مع جاراتها ومع الآخرين في إطار التقيد التام بميثاق الأمم المتحدة وميثاق منظمة الوحدة الإفريقية " ، وأمهل الأمين العام ٦٠ يوما حتى يقدم تقريرا عن مدى تعاون السودان ... ووضعت المسألة كلها قيد النظر ..

الغرض من القرار :

كان الوسيلة غير المباشرة لإدخال السودان في إطار الأزمات والقضايا الدولية ، ومثل بداية لإستخدام الذراع الثالثة في السياسة الخارجية الأمريكية بصورة فعليه وهي آلية الأمم المتحدة التي تستغل من قبل الدبلوماسية الامريكية ... لقد فارق القرار المقاييس العدلية

والموضوعية التي ينبغي أن تتحلى بها المنظمة الدولية.. وأفتقر للحجة البينة والقانونية وبات جليا أنه اتخذ لدوافع سياسية وبضغوطات من دول بعينها يحركها الغرض .

فالقضية عرضت أمام المجلس الدولي بإعتبارها إحدى قضايا الإرهاب الدولي وفي ذلك تحايل بين على الرفض الروسي لها .. والذي أعتبرها قضية إقليمية تحل في إطار التعاون الثنائي خاصة وأن البلدين طرفي النزاع (السودان و إثيوبيا)بينهما إتفاقية محددة للتعامل في مثل هذه القضايا .. وعرض القضية تحت صفة الإرهاب الدولي تم التمهيد له عبر خطوات سابقات دمغت فيها الإدارة الامريكية وآلتها الإعلامية السودان بالإرهاب وضمنته في قائمتها السوداء ، وقد تجاهل مشروع القرار الجهود التعاونية والحريصة من قبل السودان التي أثبتها وزير الخارجية السوداني أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في سياق تفنيده للإتهامات الأثيوبية .

بينما أثنى ذات القرار في الفقرة الثالثة على جهود الحكومة الإثيوبية في متابعة القضية وتعامل البيان المقدم للقرار ١٠٤٤ بعين الإتهام المثبت مع السودان وطالبه بتسليم المتهمين مستندا على قرار آلية فض النزاعات الذي كان نصه (يطالب الحكومة بإتخاذ التدابير اللازمة للبحث عن المتهمين وتحديد مواقعهم وتسليمهم) وبذا يتناق أساس

إتخاذ " قرار الآلية الأفريقية "مع روح القرار الصادر ،ويتجاوز البيـــان إتهام السودان بالإرهاب إلى تأكيده لهذا الواقع حيث أنـــه يطالبـــه (بالكف عن القيام بأنشطة المساعدة والدعم للإرهاب وعن توفير الملجأ والملاذ) !! ..في هذين الموضعين فقط من مشروع القـــرار دلالـــة واضحة على إختلال ميزان العدالة في المنظمة الدولية ويتنـــاق مـــع دورها المؤسسة عليه ؟!

القرار ١٠٥٤ :

كان التالي للقرار الأول والذي نسفه ظهور المتـــهم الأول في القضية " مصطفى حمزة"[١] في جبال أفغانستان وأكد مسئولية جماعتـــه عن الحادث ونفي صلة السودان به ورغم ذلك صدر القـــرار ١٠٥٤ والذي لضعف مقوماته إنسحبت إحدى الدول التي قدمت مشـــروع القرار السابق ١٠٤٤ حيث بقى مشروع نكرات خلا مصر !! ، كان القرار صدمة للضمير العالمي وتهديدا لأمان الشعوب المستضعفة الراغبة في الإنعتاق من إسار النظام العالمي الأمريكي .. وضـــرب بـــالعدل والقانون عرض حائط المنظمة الدولية حيث تعلو فيها المصالح السياسية على الأعراف الدولية ومنطق القانون حيث أصر القرار على إعـــادة تأكيد القرار السابق ١٠٤٤ ويأسف لكون حكومة السودان لم تمتثل

---

١ – صحيفة الحياة اللندنية – إفادات مصطفى حمزة ٢١ /أبريل/١٩٩٦م .

حتى الآن لطلبات الجهاز المركزي لمنظمة الوحدة الأفريقية رغم جهود الأمين العام للمنظمة لضمان انصياع السودان لطلبات الجهاز المركزي ويبدى القرار أسفه على عدم تجاوب حكومة السودان مع الآلية الأفريقية، وفي التقدم للقرار يصر على أن (لقمع أعمال الإرهاب الدولي التي تشترك فيها الدول أهمية أساسية لصون السلام والأمن الدوليين) ..

وتصميما منه على القضاء على الإرهاب الدولي ولضمان تنفيذ القرار ١٠٤٤ يطالب حكومة السودان بالامتثال للقرار ١٠٤٤ بكل متطلباته .. واقترح عقوبات محددة :

١/ إجراء تخفيض كبير في عدد ومستويات الموظفين الموجودين في البعثات الدبلوماسية والقنصليات السودانية وتقييد حركة كل من بقى من هؤلاء الموظفين داخل الدول المعنية ومراقبة حركتهم .

٢/ إتخاذ إجراءات لتقييد دخول أعضاء حكومة السودان وموظفيها وأفراد القوات المسلحة السودانية خارج السودان أو عبورهم للخارج

٣/ يطلب من جميع المنظمات الدولية والإقليمية عدم عقد إي مؤتمر بالسودان .

٤/ يطلب من جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة ومن الوكالات المتخصصة التابعة لها أن تتقيد على نحو صارم بهذا القرار بصرف النظر

عن وجود أي حقـــوق ممنوحة أو التزامات مفروضــة بموجـــب اتفاق دولي أو أي عقد مبرم أو ترخيص أو إذن ممنوح قبـــل نفـــاذ الأحكام .

ه/ ولقد طلب من الـــدول أن تفيد الأمين العـــام للمنظمـــة في غضون ستين يوما بالخطـــوات التي إتخذتها تنفيذا لهذه القرارات .

٦/ أن يقدم الأمين العام خلال ٦٠ يوما تقريرا عن تنفيذ القرار وينظر فيه علي أساس الوقائع التي يثبتها الأمين العام . وتقرر إبقاء المســـألة قيد النظر ...

وكان جديرا بالمنظمة الدولية إستصحاب القرائن المثبتة لبراءة السودان " تصريحات المتهم " أو على الأقل التي تشكل أدلة جديـــدة يمكن أن تؤثر على مجريات القضية .. ومن ثم يتـــم استصحابها في حيثيات القرار إلا أنها لم تفعل ، والقرار بصورته تلك كان صفعة قوية موجهة لمصداقية المنظمة الدولية وعدالتها وفيه دلالة بيـــــنة علـــى خضوع المنظمة للهيمنة الأمريكية وأنها ضعيفة ..و النتيجة المباشـــرة للقرار إحساس المجتمع الدولي خارج المجموعة الغربية بالخطر والشـعور بالخوف على أمنه وسلامته .. وفعليا لم تنفذ الغالبية العظمي من دول العالم القرار ١٠٥٤ ، مما أغضب واضعي القـــرار والمخططـــين لـــه ودفعهم للإتجاه نحو منحى آخر.

وفي بداية الأزمة أقحم الأثيوبيون الخطوط الجوية السودانية بنقل المتهمين والأسلحة التي نفذت بها العملية .. دونما دلائل أو قرائن أحوال تدين الناقل الوطني السوداني .. وفي خطوة مستعجلة أعقبت القرار ١٠٥٤ ، تقدمت إثيوبيا مع أخريات بإقتراح لحظر الطيران السوداني .. عليه صدر القرار ١٠٧٠ الذي يهدد بحظر الخطوط الجوية السودانية (Sudan Air).. وتوعد بفرض عقوبات أكثر تشددا ، ما لم يسلم السودان المطلوبين في محاولة الإغتيال ، بصورة جازمة بوجودهم فيه وهو ما نفاه السودان ، ولم يثبته أحد ... بل ثبت عكسه تماما ، ووصف السودان القرار بأنه إصرار على فرض العقوبات (يجافي المنطق والعدل) .. ولكن سارت المنظمة الدولية في إتجاه تصعيد العقوبات على السودان في تأكيد على إختلال موازين العدالة بها .. وتم ذلك أيضا عبر ضغوط محددة وهو ما أشارت إليه صحيفة المستقلة اللندنية حين ذكرت : (أفادت مصادر دبلوماسية في أروقة مجلس الأمن الدولي أن الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر تبذل جهودا حثيثة لفرض عقوبات دولية على الحكومة السودانية)[١] .ورغم صدور القرار المعني في ١٠/مايو/١٩٩٦م ... إلا أنه لم يتنزل إلى حيز التنفيذ وذلك لعدم قناعة الجمعية العامة بعدالة

---

[١] ١/ المستقلة اللندنية – ٣/ مارس / ١٩٩٦م .

القضية المطروقة ... وعارضته دول أعضاء في مجلس الأمن كـــالصين وروسيا حيث (التقى السفير الروسي بالخرطوم بوزير الدولة بـــوزارة الخارجية السودانية و أكد موقف بلاده الرافض لفرض أية عقوبـــات إقتصادية على الدول النامية وسلمه رسالة بذات المعنى مـــن وزيـــر الخارجية الروسي يفغيني بريماكوف)[1].

ثم كان تقرير الأمين العام للأمم المتحدة "كـــوفي عنـــان" الذي أوفد مندوبا عنه لزيارة الخرطوم في ينـــاير ١٩٩٦م لإعـــداد تقرير حـــول الآثار الإنسانية السالبة لقرار الحظر الجوى وهو مـــا أشترط القرار ١٠٧٠ تقييمه قبل الشروع في تنفيذه . وقد حـــذر تقرير الأمين العام للأمم المتحدة من أن (آثارا إنسانية خطيرة ســـوف تنتج في حال تنفيذ العقوبة الواردة في القرار المعنى) ..وأشـــار إلى أن تأثيراته على المواطن أكثر من الحكومة ، التي هي المعنية بالقرار ، أعتبر المراقبون السياسيون هذا التقرير ومن قبله فشل القراريـــن ١٠٥٤ و ١٠٧٠ على أرض الواقع نجاحا للدبلوماسية السودانية .

الملاحظة الأخرى التي يجدر الإنتباه لها هي أن التوفيـــق قـــد جانب السياسة الخارجية الأمريكية والطرح المقدم عبرها لنظام عـــالمي جديد، و بات واضحا أنها رأت في الطرق علـــى قضيـــة الســـودان

[1] المصدر السابق .

بالحيثيات المطروحة من قبل الأمم المتحدة إحراجا لها يؤثر على شعاراتها البراقة التي ترفعها والتي تصور الولايات المتحدة كزعيمة للعالم حامية للديمقراطية وحقوق الإنسان والعدالة ... كما أنه هز ثقة الأقربين لها في صدقيتها وخير مثال تصريح أحد المسئولين الفرنسيين لصحيفة "التايمز" اللندنية ، وقد ذكر (أنهم أي الأمريكيون لم يقدموا لنا دليلا يثبت مزاعمهم عن السودان) .

ولكن ما زالت الولايات المتحدة تصر على القول بأن (مشكلة السودان تكمن في إحتضانه وتأييده للإرهابيين الدوليين ، وأن واشنطن تمارس الضغوط على حكومة الخرطوم في شكل عقوبات دولية ، وأحادية لمحاربة الإرهاب في السودان)[٢] ، مما يعني ضمنيا الإستمرار بتصعيد التوتر في علاقتها بالخرطوم .

نحو خارطة سياسية جديدة

في عام ١٩٩٤م صدر كتاب " النظام العالمي الجديد "أشار إلى وجود وثائق سرية في الدوائر الغربية تتحدث عن مشاريع رسم خريطة سياسية جديدة خاصة في الشرق الأوسط وذكر أن المشروع الموجود في هذه الوثائق يتناول بالتقسيم كلا من اليمن ، السعودية ، العراق ، السودان ومصر ، وذكر مؤلف الكتاب د. صلاح الوقيع (أن

---

[٢] المصدر السابق .

حـــالة العـــالم اليوم تشبه إلى حد كبير حالته بعد الحـــرب العالميـــة الأولى وما ميزه حينئذ من تكالب من أجل بسط النفوذ في الشـــرق الأوسط)[1].

وأسهم المفكر الأمريكي " ليندون لاروش " أيضا حين قـــال (يبدو أن أفريقيا ستعود إلى حالة إستعمارية مشتركة تشبه كثيرا مـــا كان عليه الحال قبل إتفاقية برلين ١٨٨٢ - ١٨٨٣م التي قســـمت بمقتضاها إفـــريقيا إلى وحـــدات سياسية كان لبريطانيا نصيـــب الأسد منها)[2].

لقد خيم الشعور بعودة الإستعمار مرة أخرى على أذهـــان المراقبين السياسيين وعلماء التاريخ والإجتماع السياسي .. وكـــانت أفريقيا والشرق الأوسط باختلاف الشـــخصيات والكتابـــات محـــل المطامع والمطامع .. إذ أنها مقر مصالح وتنافس ...

[1] - مقتطفات من كتاب د. صلاح الوقيع - مجلة العالم - العالم السياسي ٢٧/١٠/١٩٩٦م - ص ٥.

[2] - ل/ لاروش .. حديث إذاعي - لمندوب (EIR Talks) - ١/ يونيو /١٩٩٧م

الولايات المتحدة وأفريقيا :

(إن مصالح الولايات المتحدة الأمنية في أفريقيا محـــدودة وفي الوقت الراهن ليس لنا وجود مرموق في أي مكان من القارة وليس لنـا قواعد أو قوات مقاتلة أو سفن حربيـــة ونحن نرغب حقا في وجـــود مداخل للتسهيلات والمواد العسكريـــة التي كانت ربما تكتسب أهمية خاصة في حالات الطوارئ وعند عمليات الإخلاء ولكن خلاصة الأمر إننا لا نجد كثيرا من المصالح الأمنية والإستراتيجية التقليديــــة في أفريقيا)[٣].

هذا النص هو جزء من تقرير نشره مكتب الشـــئون الأمنيـــة الدولية بوزارة الدفاع الأمريكية في أغسطس ١٩٩٥م يوضـــح فيـــه إستراتيجية الولايات المتحدة الأمنية تجاه أفريقيا جنـــوب الصحـــراء ، الذي أكد كذلك على (أن مصالح الولايـــات المتحـــدة الإنســـانية والسياسية في القارة تأتي في المقدمة من حيث الأهمية تليـــها المصـــالح الإقتصادية ذات الأهمية المحدودة ثم المصالح الأمنية في ذيل القائمة)[٤].

وسنقـــف على مـــا ورد في هذا التقـــرير الذي قـــال الكثير والمـــح لكثير وصمـــت عن كثير ... يمكن أن يستنبط من بين

---

[٣] -تقرير وزارة الدفاع الأمريكيه - الأستراتيجيه الامريكيه لأفريقيا جنوب الصحراء - أغسطس ١٩٩٥م .

[٤] المصدر السابق .

أسطره ، وفي جزء آخر من التقرير ورغم حديث وزارة الدفاع عـــن محدودية الأهمية الإقتصادية لأفريقيا إلا أنه يعود مرة أخرى وهو تقريـر كما نلاحظ خاص بوزارة الدفاع للحديث عن التجارة الأفـــريقية مع واشنطـــن وذلك بصـــورة تقيمية تنبئ عن دراســـات سابقة (بلغت مشتريات أفريقيا من السلع الأمريكيـــة ٤,٤ بليـون دولار عام ١٩٩٤م وهي نسبة تعادل اكثر من ٨٠.٠٠٠ وظيفة في سوق العمالة الأمريكي وهذه الصادرات تزيد على صادرات الإتحـاد السوفيتي السابق بما يقارب الربع وهي قابلة للزيادة ..)[1].

ويوصي التقرير (بأن هذه القارة التي تضم ما يزيـــد علـى ١٨٠ مليون شخص (أقل القارات سكانا) وتبلغ مساحة أراضيـــها ٢٠% من مساحة الكرة الأرضية (ثالث القارات مساحة) وتضـــم ثروة من الموارد الطبيعية والتنوع البيولوجي ، ليس في الإمكان تجاهلها وان الإبقاء على روابط إقتصادية معها يتوافق مع المصالح الأمريكيـة ، واليوم بدأت أفريقيا جنوب الصحراء تبرز للعيان كسوق للمنتجـــات الأمريكية ويتطلب تحقيق النمو الإقتصادي ومزيد من النشاط إستقرارا تاما وديمقراطية راسخة ، ولقد ظلت أفريقيا دائما موردا ثابتا للنفـــط الخـــام ، وخلال أزمـــة النفط في عـــامي ٧٣ - ١٩٧٤م

---

[1] تقرير وزارة الدفاع المشار إليه سابقا .

كان أكبر مزود لنا بالنفط هو نيجيريا .. وتقدم أفريقيا جنوب الصحراء ما يقارب عشرة بالمائة من وارداتنا اليومية من النفط الخام)[٢] .

يؤكد التقرير في الفقرة التالية مباشرة وبعد الحديث عن الإمكانات والثروات الضخمة والإمكانات النفطية ليقول (وتلتزم الإدارة الأمريكية الاحتفاظ بدور قيادي في أفريقيا رغم غياب أي مصالح حيوية لها في القارة .... ولكن التقدم والإستقرار يستدعيان دعما طويل الأمد)[٣] .

وفي سياق شرح الدور الزعامي لأمريكا تحدث التقرير عن أن القارة مطوقة بتشكيلة متنوعة من المشاكل تعمل الولايات المتحدة بمساعدة المنظمات الدولية على حلها .. مثل قضايا .. الإيدز ، الأوبئة والتدهور البيئي (تسعى الولايات المتحدة إلى الحد من النمو السكاني وتدفقات اللاجئين ومحاربة الإرهاب وتجارة المخدرات كما وأن التدمير الذي تحدثه النظم الراديكالية سواء كانت علمانية أو دينية على أطراف القارة لابد من مواجهته)[٤].

---

[٢] المصدر السابق .

[٣] المصدر السابق .

[٤] المصدر السابق .

وتحت عنوان **الاتجاهات السياسية** تحدث التقرير عن (اتجاهين هامين في القــارة .. **الاتجاه الأول** منهما أن القارة شهدت موجـة من الإصلاحات السياسية لم يسبق لها مثيل في تاريخها .. وفيما تواجه القارة سلسلة متصلة من العقبات التي تعترض الحركة في إقامة العمليـة والمؤسسة الديمقراطية فإن هذه الحركة إتسمت بعمــق في عدد كبير من أمم القارة وهي تحقــق مزيدا من الزخم .. لكن مازالت عمليــه التحول باتجاه الديمقراطية تواجه إنتكاسات موسمية في بعض الأقطـــار الأفريقية .

الاتجاه الثاني تمثل في بروز الإسلام كقوة سياسية ... وكــان الإسلام منذ أمد بعيد قــوة سيــاسية إجتماعية وسياسية كــبرى في القارة وشهــدت الآونة الأخيرة (تاريخ التقرير – أغســطس ٩٥) إنتشارا للإسلام حيث انتقل من شمال وشرق القارة إلى المنطقة جنوب الصحراء ... ولكن هذه الحركة لم تتحدد معالمها بعد بشكل كــامل فبينما نجد أن الأنظمة الإسلامية ليست معادية للغرب بطبيعتـها إلا أن واضعي السياسة الأمريكية ربما يصبحون بحاجة للتفاهم مع تلــك الأنظمة التي تعلن توجهات معادية للغـــرب ..) [1] ، وفي قــراءة سريعة للتقرير نخرج بعدة ملاحظات .

---

[1] تقرير وزارة الدفاع الأمريكية – مصدر السابق .

١- أن المصالح الإقتصادية الأمريكية هي الدافع الأول لها للتدخل في القارة الثرية والمفتقرة ... ورغم حرص الأمريكين على إخفاء ذلك وهذا على نسق (ما ورد في تقرير يناير ١٩٦١م عن ضرورة حث السودان على إضعاف روابطه العربية والتوجه نحو أفريقيا دون إشعاره هذا الدفع) فهذه القارة هي المنجم الإحتياطي المدخر .

وفي مقابلة مع "كلاي وود غيت" أحد أبرز مديري الشركات الأمريكية يقول (تنبهت مؤسسات الأعمال الأمريكية فجأة ، ووقع بصرها على آفاق جديدة لتتوسع في نشاطها حتى يصل بها إلى بقاع مهمة في المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الإفريقية ، في حين يتوق عدد أكبر من الأفارقة وحكوماتهم إلى التعامل مع تلك الشركات الأمريكية .)[٢] ويواصل وود غيت حديثه عن الآمال الأمريكية في أفريقيا بأن (ما ترونه هو أن البلدان الأفريقية التي إرتبطت ذات يوم بالدول الاستعمارية السابقة هي الآن حرة في خياراتها وهي بناء على ذلك تتطلع للحصول على أفضل المنتجات بأفضل الأسعار .)[٣] وأضاف (أنها ترغب في التنافس ، وبعدم دعوة الشركات الأمريكية

---

[٢] كلاي وود غيت – لقاء مع تشارلز كوري ، وكالة الإعلام الامريكيه – نشرة السفارة الامريكيه .

[٣] المصدر السابق .

إلى الإستثمار فأنها تشعر بأنها تفتقر إلى التنافس ... والتعامل مع الشركات الامريكيه يعني أنها تتنافس وتنتعش ضمن إقتصاد دولي يشتد تنافسا ...) [1] وهذه هي نظرية العولمة في جانب الاقتصاد ذو الطابع الدولي في ظل النظام العالمي الجديد فلدخول السوق وتحقيق الأرباح لابد من المرور عبر الباب الأمريكي ... حيث تسير المصالح السياسية والعلاقات الدولية .. فالإنتباهة السياسية الأمريكية لأفريقيا كانت فجائية بمثل ما فاجأت إحتياطاتها من الثروات والأسواق والكثافة القابلة للتحول إلى النمط الاستهلاكي الشركات الأمريكية ودفعتها للولوج إلى ساحتها !!.

٢- أن الولايات المتحدة تسعى للتدخل في القارة سياسيا واقتصاديا وأمنيا إنطلاقا من مفهوم زعامتها للعالم .. وتلوح بالشعارات البراقة للنظام العالمي الجديد وقد (وضعت إدارة الرئيس كلنتون أهدافا محددة لسياستها الأفريقية وهي :-

١. تعزيز السلام بمنع ومعالجة وحل النزاعات
٢. تقديم مساعدات إنسانية لتخفيف وطأة المعاناة والجوع
٣. مساندة الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان .

---

[1] المصدر السابق .

٤. دعم النمو الإقتصادي والتنمية المتواصلة)[٢] ،

وتدعم إدارة الرئيس كلنتون سياستها إذ تتعهد بأنها (على أهبة الاستعداد لتولي دور المحفز والمستشار الفني والوسيط الأمين لتسوية النزاعات)[٣] ثم يعرج بعد التعهد للتعريف ببعض الخدمات والإمكانات الأمريكية (وتهدف المساعدات الإنسانية الأمريكية إلى تعزيز استقرار الدول عن طريق ترقية ودعم المؤسسات المحلية وتنمية مقدرات الأهالي على تلبية إحتياجاتهم الذاتية وتسهم المساعدات الإنسانية في تعزيز السياسات الأمريكية الرامية إلى مساعدة الدول الحديثة الاستقلال والنامية في الانخراط في الديمقراطية واستيعاب مبادئها وتحقيق التنمية الديمقراطية وسيادة القانون ، وقد مكنت أيدي وزارة الدفاع الممتدة لكل أنحاء العالم عبر كوادرها التي تلقت تأهيلا عالي المستوى ، الولايات المتحدة من إبداء ردود فعل عاجلة وفعالة في مواجهة متطلبات المساعدات الإنسانية)[٤] .

إن الولايات المتحدة ومنذ توليها لمهام القيادة في العالم بتفوقها المادي والعسكري والعلمي ... ظلت أمينة وصارمة في الحفاظ على

---

[٢] - تقرير وزارة الدفاع الامريكيه - استراتيجية التعامل مع إفريقيا جنوب الصحراء - أغسطس /١٩٩٥م .

[٣] - المصدر السابق .

[٤] - المصدر السابق .

مصالحها ومصالح رعاياها ... ظلت حريصة وحافظة لحقوق العالم الغربي حيث ينعم ٢٠ % من سكان العالم بخيرات وثروات هي ٨٠ % من دخل العالم ... بينما يتنافس ٨٠ % هم بقيه البشر على نسبة العشرين في المائة الباقية ولعمري هي قسمة ضيزى .

ثم كان النظام العالمي الجديد تطويرا وترسيخا للنظرية الأمريكية الساعية لزيادة التمكين للاستقرار والسلام العالميين وفق المفاهيم الأمريكية والتي تعني بألا تمس مكتسبات هؤلاء الـ ٢٠ % .

التمرد السوداني :

السودان ذو البعد الأفريقي والعربي الذي يتقاطع مع الاستراتيجية الأمريكية ببعدها الدولي والإقليمي وبالتالي يمكن أن يؤثر في مصالحها .. فواشنطن تعمل على تعزيز سيطرتها وهيمنتها المبسوطة على نطاق العالم ومن ثم تعمل على قمع كل منافسة محتملة تهدد المكانة والزعامة المكتسبة تلك أو تعارضها ولها محورين رئيسين في علاقاتها الدولية ..

أولهما : بعد دولي إستراتيجي مباشر ... وهو يمثل الهم الرئيسي للأمن القومي الأمريكي . حيث أوراسيا ... المنطقة التي

تمسك بزمام الأمن والإستقرار الدوليين، وترمي واشنطن إلى منع أية دولة من الإنفراد بالسيطرة على المنطقة المعنية أو أي من أوربا أو آسيا

أما الثاني فبعد إقليمي .. يهدف إلى :

١/ تعزيز ودعم التحالفات مع الدول التابعة والصديقة والمؤثرة إقليميا بالمنطقة (مصر - تركيا - السعودية) .

٢/ عزل الدول المناوئة ومنع بروز دول إقليمية قوية تهدد المصالح الأمريكية الإقليمية بالمنطقة (النفط - طرق المرور - إسرائيل) .

والسودان يتمتع بالبعد الأفريقي والعربي والإسلامي فهو يؤثر بعكس العديد من الدول على محاور ثلاث كل منها لأمريكا فيه مآرب ومصلحة ... والمحاور هي العالم العربي والعالم الإسلامي والدول الأفريقية ... التي لقيت عناية خاصة من السودان الذي لعب إضافة لدوره في العالم العربي والإسلامي دورا مؤثرا ومشهودا في أفريقيا جنوب الصحراء بإعتباره أول الدول التي نالت استقلالها بالمنطقة ، (ويعد أحد أوائل الدول العربية والإفريقية التي تولت منصب رئاسة مجلس الأمن .. وابرز الأصوات الأفريقية المنادية بحق أفريقيا في الحرية والعدالة عبر منبر الأمم المتحدة من داخل " **لجنة تصفية الاستعمار** " وهي اللجنة الرابعة التابعة للجمعية العامة ١٩٦٠م .. وتعنى بمتابعة وتنفيذ إعلان الأمم المتحدة بمنح حق تقرير المصير والإستقلال للبلدان

والشعوب المستعمرة)[1] حيث شارك السودان في صياغة القرار ١٤١٥ للأمم المتحدة حول تقرير المصير للدول المستعمرة الذي نالت به تلك الدول إستقلالها بلدا إثر بلد .

كما شارك السودان في تأسيس مؤتمر دول عدم الإنحياز حيث نادى في المؤتمر الأول المنعقد في بلغراد ١٩٦١م (بتأييد حركات التحرير الأفريقية وتأكيد حق كل الدول والشعوب الأفريقية المستعمرة في تقرير مصيرها)[2] وأدرج النداء السوداني كقرار صادر عن المؤتمر (ويعتبر أول قرار يصدر عن حركة عدم الانحياز حول دعم حركات التحرير الوطني في أفريقيا .. والعالم الثالث)[3].

ولقد كان السودان دوما مؤثرا في القارة الإفريقية وفي نفوس الأفارقة إذ كان معبر المسلمين إلى الديار المقدسة ، وقدوة السياسيين في الممارسة ومهوى أفئدة زعماء حركات التحرر الذين زار معظمهم السودان بإعتباره أول الأبواب التي أشرعت في وجوههم واحتضنهم أهلها ، بل كان النهج السوداني قدوة للأفارقة عامة يتبع ويحتذى

[1] - قرار الجمعية العامة ١٥١٤٠/٧/ قرار الجمعية ٧//- ٢٦٢١ - للدورة ١٩٧٠/٢٥م .

[2] - السودان والافريقانية / عبدا لهادى الصديق - الفصل الثالث ص ٨٩

[3] - المصدر السابق .

(فهـــو أول دولة تفرض المقاطعة على جمهورية جنـــوب أفريقيـــا العنصرية وذلك في عام ١٩٥٧م حيث ابعد جنوب أفريقيـــا عـــن تأسيـــس إتحاد كرة القدم الأفريقي) [٤]

لذلك لم تكن فراسة العضو البرلماني الأمريكي بأن من يحكـــم السودان يحكم نصف القارة الأفريقية بعيدة عن الصواب أو أطلقـــت عبثا ... ومن هنا نفهم أكثر حرص الإدارة الأمريكية على القضاء على تمرد نظام الحكم في السودان بكل تأثيراته المجتمعية والثقافية .. ومحاربـة أنموذج الدولة المتطلعة للشمس الذي يسعى له .. والجديد في هـــذا الأنموذج ليس التطلعات فقط ولكن مرجعيتها الدينية المســتمدة مـــن الإسلام .. إذ أنه حينئذ يهدد كل ما أشرنا إليه .. فالتأثير الســـوداني سريع التمدد وأفريقيا قارة بكر مـــا أسهل أن تنتشر فيـــها الأفكـــار والإسلام أثبت فيها تقدمه بشهادة الأمريكيين أنفسهم ، الذين لا فرق بين إسلام المتطرفين والمعتدلين لديهم رغم حرصهم على إظهار عكـس ذلك كمـــا رأينا في تصـــريحات " روبرت بليترو " السابقة .. فـــهو كحضـــارة في حـــد ذاته ينبغي محاربته ، وهـــذه القناعـــة وإن لم يصرح بها السياسيون إلا أنها موجودة في الذهنيـــة الأمـــريكية . خاصة لدى بعـــض المفكـــرين والمثقفين الأمـــريكيين المؤثريـــن

---

[٤] المصدر السابق .

مثل " صمويل هنتجون " صاحب نظرية تصادم الحضارات* [1] فكما قال جورج كينيان *[2] صاحب نظرية إحتواء الشيوعية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بأن القضاء على النازية ليس نهاية المشاكل العالمية ، وان الشيوعية ستصبح الخطر الجديد وأنها ستهدد الغرب وأنه لابد من محاصرتها وإحتوائها بسياسة دفاعية وهجومية في آن واحد ، وذلك بتأسيس أحلاف عسكرية تحيط بالإتحاد السوفيتي ووضع خطط لمنع إنتشار الشيوعية في الدول الغربية ودول العالم الثالث) .

عاد هنتجون وبعد خمسين عاما من كينان عراب (نظرية الإحتواء المزدوج) ليقول (بأن القضاء على الشيوعية ليس نهاية المشاكل العالمية ، وان حضارات العالم الثالث ستشكل الخطر الجديد على الحضارة الغربية ..) [3] ، ويقول هنتجون عن الإسلام والمسلمين أنهم جزء أساسي من هذا الخطر الجديد الذي يواجه الغرب ، ويرد على الذين لا يرون في ظهور وتطور الإسلام كقوة جديدة خطرا على الغرب عدا المتطرفين من الإسلاميين ،كما يرد على بعض المسئولين

---

[1] - صمويل هنتجون - تصادم الحضارات - كتاب .. واشتهر كذلك باسم صراع الحضارات والأولى أصح .

[2] - كاتب سياسي وأكاديمي أمريكي - صاحب نظرية الإحتواء المزدوج من للمنظرين السياسيين المؤثرين في مرحلة الحرب الباردة .

[3] - صمويل هنتجون لقاء صحفي - لقاء المجلة اللندنية - أبريل ١٩٩٧م .

بالإدارة الأمريكية مثل "بليترو" حيث يقول هنتجون .. (هذا ليس صحيحا ليس صحيحا القول بأن الإسلام ليس خطرا على الغرب ، وان المتطرفين الإسلاميين فقط هم الخطر .... تاريخ الإسلام خلال أربعة عشرة قرنا يؤكد بأنه خطر على أية حضارة واجهها .. وخاصة المسيحية .) [4] ، فلا بد إذا من التعامل مع ما يحدث في السودان بمآلاته المستقبلية والمتوقعة وليس بالأحداث المنظورة والمعايشة ... فالامر أمر حضارة بدأت الحياة تدب فيها مرة أخرى منذ السبعينات ليكون هنالك دولتان تحكمان وفقا لمعطياتها هما إيران والسودان..وصحوة على مستوى الشعوب هي بين الشباب أكثر من غيرهم إنتشارا .

ويميز السودان بأن نظام الحكم فيه أتى مع تغير ميزان القوى وإنهيار النظام العالمي القديم وإنفراد الولايات المتحدة بالساحة الدولية فما عاد هناك هامش للمناورة أو المدافعة .. إلا بالإعتماد على النفس أو الخضوع لشروط القطب المتحكم .. في ظل النظام العالمي الجديد .

وما يجرى في السودان ليس بعيدا عن العين أو الذراع الأمريكي ، ذلك أن وضعية السودان مؤثرة كما أسلفنا ... والتعامل مع السودان يتم في إطار الخطط السياسية المقررة لكل المنطقة .. ولكن السوال هو هل وضعت تلك الخطط بعد عام ٨٩ وبروز الحكم

---

[4] -صمويل هنتجون - لقاء صحفي - مجلة المجلة اللندنية - أبريل ١٩٩٧م .

الجديد في الخرطوم .. وكان العامل الرئيسي فيها هو الخوف من الأثر السوداني ؟.. أم أنها مخططات قديمة كانت لا محالة في طريقها للتنفيذ ... وما حدث في السودان عجل بها ؟. ما يهمنا هنا أنها اليوم قيد التنفيذ وتقرير وزارة الدفاع الأمريكية آنف الذكر تعرض للوضع في المنطقة بالتشريح والتحليل فتحت عنوان **التحديات وآفاق المستقبل لأفريقيا جنوب الصحراء** يقول التقرير الوثيقة (لقد أشعل الواقع المتعدد الأوجه لأفريقيا بعد إنتهاء حقبة الحرب الباردة نقاشا ساخنا حول مستقبل المنطقة ..)[1]

ويعرض للنزاعات الإقليمية ومستقبلها فيعترف (بان مشاكل القارة الأمنية الرئيسية تتسم بقدر مخيف من التعقيد والتنوع ، وكثير من الحدود الوطنية والإدارية في أفريقيا ما هي إلا إرث من حقبة الاستعمار .. التي لا تعكس في أغلب الأحيان الروابط الثقافية والدينية والتاريخية في المنطقة وقد تجاهلت الحدود التي وضعها المستعمر التماسك الثقافي للقبائل الأفريقية ، وفرقت بين المجموعات العرقية في الدول الصغيرة التي ربطت بينها قرون من الإرث واللغة المشتركة ، وكان من نتاج هذه الخارطة المصطنعة إختلافات ومفارقات هائلة بين

---

[1] -تقرير وزارة الدفاع الأمريكية – الإستراتيجية الأمريكية لأفريقيا جنوب الصحراء – اغسطس ١٩٩٥م .

الدول الأفريقية من حيث مقومات بناء الأمم والتنمية الإقتصادية والاستقرار . فضلا عن أن الاستراتيجيات الإقتصادية الاستعمارية خاصة إدخال اقتصاديات المحصولات النقدية للتصدير والتركيز على إستخراج الموارد الطبيعية حرمت عددا من دول القارة من إقامة أنظمة إقتصادية مكتملة وحديثة...) [٢].

وأستعرض التقرير تاريخ النزاعات الأفريقية (في الستينات نشبت نزاعات كبرى في الكونغو ونيجيريا ، السودان) مرورا بالسبعينات (حيث أنجولا وأثيوبيا .. ثم عادت وتجددت في الثمانينات خاصة في السودان وأوغندا ..) ونطرق التقرير ألي أن تحركا نحو السلام قد إنتظم القارة خاصة بعد إنتهاء النفوذ السوفيتي الذي أسهم في تأجيج الصراع داخل القارة) ..

ومن الملاحظات الهامة في التقرير و التي تمثل بالضرورة أهمية للإدارة الأمريكية خاصة من الناحية الأمنية تاريخ وشكل الصراع في القارة حيث ترى واشنطن أنها صراعات وهمية حول حدود مصنوعة ... وأن منطقة شرق ووسط إفريقيا تعني الكثير لأميركا .. بل ونحن لا نشتط إن إعتبرنا أنها على الاهتمام الرئيسي وهي تشمل السودان ..

[٢] التقرير السابق .

و لاحظنا في التقرير وعند تعرضه للإتجاهات السياســـية في القارة التي حصرها في إتجاهين رئيسين : الاتجاه الثاني البين في المنطقـة جنوب الصحراء كان انتشار الإسلام وبروزه كقوة سياسية مؤثـرة .. وإذا إستعرضنا الدول محل التقرير نجد أن الصفة التي ركز عليها التقرير وتعرض لها ليست إلا في السودان حيث الدولة المســلمة والنظــام الإسلامي الجديد على الحكم إضافة إلى طموحات وإجتهادات النظام المعني لنشر الإسلام إلى داخل القارة السوداء

الحل الأمريكي :

لقد جعلت واشنطن الوضع السياسي والاقتصـادي والإداري المشوه في أفريقيا نصب عينها وتبنت الحل .. من البدايات ومعالجـة المعضلة الأفريقية بصورة جذرية إذ لا مبرر للجراحــات التجميليـة والتوفيقية التي كان يحتمها وجود شريك دولي له نفـــوذ في المنطقـة والساحة الدولية كالإتحاد السوفيتي السابق ...

وعجل هذا الحل الجذري لمواجهة التأثير الحضاري الإســلامي المتوقع من السودان إلى بقية دول جنوب الصحراء ... فبروزه بكــل زخم الأفكار التي ينادي بها سرع في إيقاع المخطط الأمريكي القاضي بخلق وحدات سياسية جديدة.. تتشارك المجموعات السكانية فيـــها لغويا وعرقيا وتشتمل على ثروات ومقدرات ضخمة تمكنـــها بعـد

التقسيم الجديد والذي روعي فيه تجاوز أخطاء الاستعمار الإمبريالي القديم المذكورة ... وعلى هذه الوحدات أن تكون أسواقا ضخمة للإستهلاك وهذه هي الإضافة الجديدة للدور التقليدي لها كونها أسواقا موردة للموارد الخام ،ومن ثم تبنت واشنطن الدولة القائمة على العرق على حساب الدولة القومية ...والبون بين الدولتين شاسع .. فالدولة القومية مهما كان ضعفها السياسي والاقتصادي إلا أن بها روح المنافسة والرغبة في التطور، وخلافاتها مهما تعددت الأعراق فيها فهي حول قضايا محورية تظن كل فئة أنها هي الأجدر و الأقدر على حلها وتحقيق الوضع الأفضل للجميع .. لمصلحة الدولة وأعراقها المتعددة .

وهي دولة لذلك فيها حرص على التنمية بصورتها العامة حتى وإن لم توفق في الإنجاز .. تستفيد من مجمل تكويناتها في خلق رباط نفسي بين أفرادها عموده الإحساس بالإنتماء لأرض وأمة ونظام حتى وإن كان هناك إختلاف حوله .. وأن الفرد فيها يتمتع بثقافة سياسية وإجتماعية وفكرية حاوية وواسعة ناتجة عن التباين الاثنوثقافي المعاش ضمن واقعه أو بيئته .

أما الدولة العرقية فهي دولة منكفئة على ذاتها .. حريصة على السلطة فاقدة للتطلعات التنموية والإنمائية كلية كانت أو جزئية إلا إذا كانت في مصلحة العرق الحاكم ..

وهي تقوم على الاعتماد على تحالفات خارجية تستعين بها ضد خصومها أو الآخر الذي تجمعها به عوامل الأرض والحدود وهو صاحب حق بموجب ذلك .. وتطلعها الدائم نحو الحليف الخارجي جعلها قابلة للإرتهان المباشر وهي لا تعترف بالآخر ولا حقوقه كما ذكرنا .. الولاء فيها للقبيلة وروابط العرق .. والمصلحة المنظورة هي الخاصة ، تعيش دوما في حالة صراع ، ولا تشغلها قضايا الهوية أو البحث عن الأدوار .. ومصالح الدولة العليا تعني في المقام الأول مصلحة العرقية المحدودة ، وهي قابلة كذلك لممارسة دور الوكيل المعتمد لحلفائها بالمنطقة المعنية .. طالما كان في ذلك مكسب عائد للقلة العرقية المتحكمة .. وهذا ما يلاحظ في نموذج إسرائيل مثلا .

لذلك كله تراهن الولايات المتحدة على هذا الأنموذج وتوره دون إعتبار لآراء أهل الشأن من القارة ... بل وقدمت تصورا مسبقا سوق له تحت أسم **القرن العظيم** في مبادرة للرئيس كلنتون أشرنا إليها .. وهو بضم دول الإيقاد بالإضافة إلى بوروندي - رواندا - زائير ... حيث تجمع في وحدة سياسية كبرى .. ذات كثافة سكانية ضخمة .. يلعب العرق دورا هاما فيها ، وبها إمكانات إقتصادية ضخمة كذلك وكانت بداية الدعم الأمريكي لهذا النموذج المشوه فعليا عندما دعمت ولو بالسكوت ما عرف بمشروع دولة التوتسي

الكبرى ... أو حلم الرئيس الأوغندي يوري موسفيني بإعادة أمجاد الأباطرة العظام بخلق إمبراطورية أفريقية عصبها التوتسي تشمل روانda ، بوروندي ، زائير ، وجنوب السودان ، وبالطبع أوغندا دولة سوقها موسفيني بإعتبار أنها سوف تكون حاجزا قويا ضد التمدد الإسلامي في أفريقيا ... وذلك لإستغلال خوف الغرب على مصالحه المعلومة والمختزنة في أفريقيا .. والخوف الغربي من نموذج الحضارة المختلف عن حضارته التي لا تقبل الآخر ....وقد مهد موسفيني لطموحاته منذ العام ١٩٩٢ في المؤتمر السابع للأفريقانية الذي عقد بكمبالا حيث قدم أحد أعضاء الوفد اليوغندى والذي هو عضو في بعثة أوغندا لدى منظمة الوحدة الأفريقية .. ورقة بعنوان "**نحو خارطة جديدة لأفريقيا** " نوه إلى أنها تعبر عن الرؤية الشخصية لصاحبها وليس رأى الحكومة اليوغندية رغم أنها الورقة الثانية من حيث العوض .. جمعت فيها دول القارة المتعددة الكثر في دول كبرى محدودة .. وهي نظرية نادى بها سابقا البروفسيور "علي المزروعي" الذي قال بضرورة إحتواء الدول الكبرى الفاعلة في القارة للدول الأقل والأصغر والأضعف وضرب مثلا ضم مصر للسودان وليبيا.. مع ضم أثيوبيا وإرتريا وجيبوتي والصومال .. الخ ،

وهذا ما فصل فيه الدبلوماسي الأوغندي حين قسم القارة إلى

ست دول وهي :-

١. جعل من شمال القارة دولة واحد تضم (مصر ، الجزائـر ، المغرب ، موريتانيا ، ليبيا، وشمال السودان وجزء من شرقه).

٢. وسط القارة (الأعلى) في دولة أسماها أفريقيا الوسـطى وتضم (أوغندا ، كينيا ، الكنغو الديمقراطية ، تنزانيا ، أفريقيا الوسطى ، أثيوبيا ، ارتريا ، وجنوب السودان) ، كما اطلق عليها اسم دولة القرن الذهبي العظيم .

٣. شرق إفريقيا وتضم (دول الشرق الأفريقي وهي تضـم موزمبيق وما حولها) .

٤. غـرب أفريقيا وتضم (الدول الناطقة بالفرنسية مثـل : السنغال ، سيراليون ، غانا ، ساحل العاج ، غينيا ، الخ) .

٥. جنوب إفريقيا وتضم (كل دول الجنوب الإفريقي) .

٦. جنوب غـرب أفريقيا و لم تسم وتضم (نيجـيريا ، وليبـيريا وبقـية الدول ...([1])

والملاحظ أن هذه الخريطة بتقسيماتها المحددة حرصت على جمـع الأعراق والثقافات المشتركة والإمكانيات المتكاملة في دول موحدة .. وهذا عـين ما نادت به الولايات المتحدة ..

---

[1] مرفقه خريطة لقارة إفريقيا الجديدة في نهاية الكتاب .

أولا : لفرض الإستقرار في أفريقيا و بسط السلام وتوفير المناخ الملائم للإستثمارات الإقتصادية بأفريقيا .

ثانيا :نلاحظ أن السودان هو الدولة الوحيدة التي طالتها يد التقسيم والتشريح حيث ضم جنوبه لمجموعة الدول الأفريقية و أعيد الشمال إلى الشمال الإفريقي .. مجردا من مقدراته المائية .. وثرواته المعدنية في الجنوب .

ثالثا : لم يعرف عن أوغندا وجود سياسيين نافذين ذوى قدرات تسمح بتقديم مثل هذه الدراسة وبصورتها التي قدمت بها ولعلها رغم هذه المثالب وسوء القصد الواضح فيها لو قدمت عبر شخصية معروفة باهتمامها بهذه الجوانب مثل علي المزروعي [٢] ، أو سالم احمد سالم [١] أو منصور خالد [٢] لكانت أقل إثارة للشك حيث كان يمكن أن تعد اجتهادات شخصية لاحدهم ويؤخذ ويرد عليه فيها .. وهذا ما لا ينطبق على مقدم الورقة المشروع ! .

---

[٢] بروفيسور علي المزروعي، أكاديمي وأستاذ جامعي اميركي الجنسية كيني الأصل اشتهر باجتهاداته الفكرية و السياسية

[١] – سالم احمد سالم- الأمين العام لمنظمة الوحدة الإفريقية لسنوات متتالية -مرشح لمنصب الأمين العام للأمم المتحدة -من ابرز الشخصيات الإفريقية .

[٢] – سوداني وزير خارجية أسبق – اشتهر بكتاباته السياسية وعلاقاته مع الغرب-اتهم بوجود صلة بينه ووكالة الإستخبارات الأمريكية CIA- يشغل منصب المستشار السياسي للحركة الشعبية لتحرير جنوب السودان ومستشار شخصي لرئيسها د. جون قرنق.

رابعا : الحرص الشديد علي امتداد خط التقسيم بين شمال القارة الأعلى ووسطها وجنوبها والممتد كذلك من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق مشكلا فاصلا حادا بين العرب والأفارقة من ناحية وبين المسلمين العرب وبقية القارة من ناحية أخرى وبقية القارة خاصة بضم جنوب السودان إلى **دولة الوسط في إشارة واضحة إلى** :-

١. إن الهدف هو الحد من امتداد التأثير الإسلامي والعربي إلى الداخل .

٢. الحرص على قطع الصلة بين المسلمين العرب والمسلمين الأفارقة وهو الخط الذي قصد به السودان بصورة واضحة .. وكان ذلك قد إبتدأ منذ تقرير يناير **١٩٦١م** والذي ذكر بوضوح(**ضرورة فصل السودان عن عمقه العربي وتقوية علاقاته بالدول الأفريقية**). وبعد الفشل في ذلك حيث كان السودان منتبها بوعي أو دونما وعي لأهميته الجسرية بين العروبة والإفريقية .. كان من الضرورة بمكان لواشنطن عزل كل القطاع العربي بتأثيراته الثقافية والحضارية.

٣. السيطرة على شمال القارة المعلوم عنه فقره في المياه بعكس الجنوب الغني بها... ومن ثم يمكن الضغط على مصر والسودان الشمالي عبر المياه والتي ظلت هدفا أصيلا للتدخل

الإسرائيلي في شئون القارة .. وبفصل السودان جنوبه عن شماله تنقطع حلقة الوصل الثقافي بين شطري أفريقيا.

٤. كيف دول المنطقة نفسها على التعايش مع حدودها المعلومة بغض النظر عن كونها حقيقة أو مصنوعة ، وتعاملت القارة ومنظمة الوحدة الأفريقية مع التنوع الاثنوثقافي والجيوسياسي الأفريقي بإعتباره ميزة لصالح القارة وشعوبها وعرفت به منذ أمد ،و السودان بتنوعه الإثني و الثقافي بل حتى المناخي ومساحاته الضخمة ، وتكوينه والجيوسياسي يمثل أفريقيا مصغرة ... فيه حرص على الاستفادة من ميزة التنوع والتباين كخطوة إنطلاقية نحو القسوة والتماسك القومي والإقليمي.

وبتقسيم السودان تسقط نظرية الوحدة في التنوع وتسقط معها همة الأفارقة ومنظمتهم ، الساعية لخلق قوة من الخليط الإفريقي ينهض بالقارة .. هذا الإحباط يعجل الخطوات نحو الخريطة الأفريقية الجديدة المتجهة نحو الاستقرار والسلام وفق حاجات النظام العالمي الجديد .. الذي يرى أن نهاية النزاعات المسلحة والصراعات العرقية تكمن في نزع فتيل أسبابها وهو التقسيم الاستعماري السابق بإعادة الأمور إلى نصابها ومراجعة تقسيم القارة وفق معطياته وتوجيهاته بينما

يرى من ناحية أخرى إن السيطرة المباشرة على المصالح الإقتصادية والموارد الطبيعية والمواقع الإستراتيجية ... الأفريقية يضر به من نواح عدة :

١. بصورته المباشرة .. يعيد إلى الأذهان صورة الاستعمار بزيه القديم وبالتالي بروز الجذوات الانتفاضية والإستقلالية ..

٢. لا يتوافق مع الشعارات المطروحة من النظام العالمي الجديد كما حددها "دجرجيان "وهي (السلام ، الديمقراطية وحقوق الإنسان التي يأتي في المقام الأول منها الحرية !)..

٣. إن ذات الشعارات يمكن أن تكون مداخل لتقسيم القارة وإستعمارها تتكفل بخلخلة بنياتها التقليدية بحيث تسمح ببروز قيادات جديدة تواكب المطلوب العالمي وتتوافق والمصالح الامريكيه مثل "لوران ديزرويه كابيلا" ... رجل العصابات الزائيري ...الذي هو في الأحراش ورغم شعاراته الاشتراكية وماضيه الماركسي إلا أن الحكومة الأمريكية وقعت معه جملة عقود تصل إلى مليار دولار أمريكي ، إحتكرت بموجبها الشركات الأمريكية امتيازات التنقيب والبحث عن المعادن وإستثمارها في إقليم" ليمونباشي" الذائع الصيت بغناه من المعادن،ومثله صديقه "جون قرنق دى مابيور" الذي تصفه

الدوائر الأمريكية بأنه قيادي قبلي فاسد جائع للسلطة وليس لديه رؤى مستقبلية عن السودان .ولكن مثل هذه النماذج رغم مساوئها المعلومة والمنظورة .. تصلح لان تكون مطايا للإستعمار الجديد القادم للقارة ،وقد الحم الرئيس الكيني "دانيال أراب موي "(بعض القوى الغربية بإدخال الاستعمار الجديد إلى إفريقيا تحت مسميات ممارسة الحرية والديمقراطية)[1].

٤. أن التكلفة المادية والخسائر الناتجة عن التحكم المباشر ، إضافة لنقمة الشعوب المستضعفة تشكل عبئا على الخزانة الغربية وضغطا على مواطني الغرب والذين يشكلون ٢٠% من التعداد العالمي للسكان .. لذا كان من أهم ملامح الاستعمار الحديث ما أشرنا إليه سابقا وهو أن تتكفل الشعوب المستعمرة بدفع تكاليف إستعمارها وتمويل جهود

(١) دانيال اروب موي -رئيس جمهورية كينيا يعتبر من الرموز القديمة التي استمرت في ظل النظام العالمي- اشتهر باشتراكيته المستمدة من واقع المجتمع الكيني-وهو من رموز إفريقيا القديمة التي مازالت في الحكم وقد حرص علي تطويع معتقداته الفكرية الاشتراكية بحيث تتوافق مع واقع المجتمع الكيني.

ذبحها من الودجين بشرا وموارد ا ..!! وبمعنى آخر أن تتـولى تمويل عملية إستغلالها وإستغفالها .. !!

الفصل الثالث

جنوب السـودان........
المنفـذ للنفـوذ

- مشكلة جنوب السودان
- الولايات المتحدة وخطوات نحو الجنوب
- سنحارب السودان بجيرانه
  - أوغندا والإمبراطورية العجوز
  - أثيوبيا
  - إرتريا

كان من أهم العقبات التي واجهت الإدارة الأمريكية كما صرحت .. هو عدم وجود منافذ لها للضغط على السودان .. وعدم وجود مناطق نفوذ فاعلة تحرك ضده منذ البداية ..فاكتفت بالضغوط الإقتصادية ضده بإعتبار إن فقره هو مفتاح الضغط عليه وإعادته إلي الحظيرة الدولية .. وحين فشلت في ذلك .. كانت رحلة البحث عن بدائل فاعلة ... ولم يطل الأمر لها قط ... حيث كان في جون قر نق وحركته الضالة المنشودة .. التي هما ينفذ إلى نظام الخرطوم فيزاح أو يضعف هذا في المقام الأول ... وفي المقام الثاني فإن خطة تقسيم السودان لم تكن وليدة رد فعل لقيام الحكومة الأصولية الإسلامية في الخرطوم كما تطلق عليها وسائل الإعلام الغربية ... ولكنها كانت موجودة في سياق الأدوار الجديدة للنظام العالمي .. وفي إطار البحث عن وسائل أسرع وأفضل لاستغلال الموارد والثروات الأفريقية ...

مثلت شخصية جون قرنق ، الشيوعي السابق ،ذو الثقافة والدراسة الأمريكية بطموحاته الذاتية وشخصيته النفعية الهدف الملائم للإغراض المتنوعة تلك ... وما كان عليه طالما لديه الرجال المسلحون سوى مواصلة ما بدأه فقط بمعطيات أخرى وإمكانيات

وقدرات أفضل.. اليد الأمريكية إحدى الأيادي الـــتي ســتوفرها .. ولكنها أطولها وأفعلها .

مشكلة جنوب السودان :

بدأت إشكالية الجنوب السوداني.. حين تمردت عناصر مـــن الفرقة الاستوائية بمدينة بتوريت في أغسطس عام في **١٩٥٥م** وهـــم ضمن قوة دفاع السودان .. ولكن أهمدت تلك الحركة ونال السودان إستقلاله في الفاتح من يناير **١٩٥٦م** لكن ما لبثــت الأحـــداث أن إشتعلت مرة أخرى في عهد الفريق" عبود "حينما تكونت حركـــة " أنانيا ١ " في عام ١٩٦٢م من الجنود الذين اشتركوا في تمرد **١٩٥٥** م واستمرت بصورة أو بأخرى حتى وقعت الحركة بقيادة "جو زيــف لاقو "مع الــرئيس جعفر نميرى في ٣/ مــــارس/**١٩٧٣م** وثيقــة صلح حقنت بموجبها الدماء وعرفت باسم" اتفاقية أديس أبابـــا ".. لعب مجلس الكنائس العالمي دورا مقدرا في إنجازها .. وبموجب هـــذه الاتفاقية صار الجنوب إقليما إداريا واحدا وصار أحد نواب رئيـــس الجمهورية من الجنوب كما نال الجنوب عدد أكبر مـــن الحقـــائب الوزاريـــة في الحكومة حينها .

ولكن بسبب الصراعات ذات الطابع القبلي حول المناصب ، ونتيجة لإصدار قانون الحكم المحلي **١٩٨١م** الذي قام فيه الرئيـــس

النميري بتقسيم الجنوب إلى ثلاثة أقاليم ناقضا بذلك بعض بنود اتفاقية أديس أبابا.. هو ما خلق روح تذمر في الجنوب خاصة وسط قبيلة الدينكا أكبر القبائل الجنوبية وأكثرها نفوذا وحظا من التعليم والمناصب، وتوافق الأمر مع تحركات إدارية فتمردت الكتيبتان ١٠٥ و١٠٦ بيور بقيادة الرائد " كاربينو كوانين" والذي أقنع "جون قرنق دى مابيور" بعد جهد جهيد بالانضمام إليهم والعودة لجنوب السودان حيث كان مقيما في ضاحية " الحاج يوسف الخرطومية المعروفة " وبالفعل تم لكاربينو ما أراد .. وبرزت للوجود بعدئذ وفي بدايات عام ١٩٨٣م حركة مسلحة معارضة للنظام تحت مسمى" الجيش الشعبي لتحرير السودان " S.P.L.M ، S.P.L.A .

بعد سقوط حكومة النميري في السادس من أبريل ١٩٨٥م إستمرت الحركة في حربها بدعاوى عدة أولها أن المجلس العسكري الانتقالي إنما هو مايو الثانية.. وإشترطت ضرورة إلغاء قوانين الشريعة الإسلامية التي أعلنها النميري ، ومنح الجنوب حكما فدراليا ، وإقامة مؤتمر دستوري واستمرت على موقفها حتى بعد تولى الأحزاب للحكم .. رغم السعي المتكرر من قبل الحكومات المتعاقبة للصادق المهدى منذ ١٩٨٦م وحتى ١٩٨٩م للاتفاق مع قرنق إلا أنها جميعا باءت بالفشل وتساقطت المدن الجنوبية واحدة تلو الأخرى في يد

الجيش الشعبي وصارت الحاميات العسكرية الباقية مهددة تخشى السقوط . حيث لم تبق إلا ثلاث في جوبا ، واو وملكال ، وأتضح جليا بعد التنازلات الكبرى التي قدمت له ورفضها أن جون قرنق لا يريد التوقف عند الجنوب فقط بل يطمح في حكم السودان وجعله دوله علمانية أفريقية يتولى رئاستها ولقد صرح مستشاره السياسي د. منصور خالد بأنه (آن الأوان للسودان أن يحكمه رئيس مسيحي زنجي)كما صرح جون قرنق انه يريد إعادة أمجاد دولة كوش المسيحية العظمى والتي تنتهي حدودها إلى حيث مسجد دنقلا العجوز .

وبالفعل خضعت الأحزاب أخيرا لمتطلباته ففي مساء يوم ٢٦/ يونيو ١٩٨٩ م شهد مبنى الجمعية التأسيسية إجتماعا مغلقا حضره عدد محدود من الشخصيات برئاسة د. حماد عمر* بقادى تقرر فيه حل الجمعية التأسيسية وإلغاء قوانين الشريعة الإسلامية وإعلان الحكومة حل نفسها .. وان يعين د. جون قرنق دى مابيور رئيسا للوزراء يسبق ذلك حل مجلس السيادة .. وسوق مبرر لذلك عدم إكتمال العدد الفعلي فيه ... يعقب ذلك مباشرة وصول العقيد

* د. حماد عمر بقادى – أحد رموز حزب الأمة القومي – أستاذ مشارك بكلية البيطرة جامعة الخرطوم سابقا

جون قرنق في ٤/يوليو/٨٩ لتولى مهام منصبه فعليا)[١] ولكن قدر الله أمرا آخر حيث كان في البيان الأول للقوات المسلحة في ٣٠/يونيو/١٩٨٩ م والذي أعلنت بموجبه عزلها للحكومة المدنية وبسطها يدها على مقاليد الحكم في السودان .. ووضعت بذلك نهاية لحكم الأحزاب وقضت على ذلك الاتفاق المهدد لوحدة وكيان السودان ، ولقد كان لمشكلة الجنوب النصيب الأوفر بجانب تخبط وعشوائية الحكومة الحزبية في ذلك البيان والذي برر خطوة القوات المسلحة نحو استلام السلطة بالوضع المتردي في الدولة عامة ، وخاصة في الجنوب وإدارة الدولة *[١] وعلى الفور إتجه الحكم الجديد ممثلا في مجلس قيادة الثورة وانطلاقا من الخلفية العسكرية التي هي أكثر تأثرا بالحرب للتفاوض مع الجيش الشعبي وجون قرنق .. مع إعداد العدة للمواجهة المسلحة إن أبى الصلح ومنذ ١٩٨٩م بذلت حكومة السودان جهودا منظورة وجولات متعددة للإلتقاء والإتفاق مع الحركة بدأت في مؤتمر القمة الأفريقي الذي عقد بالعاصمة الأثيوبية أديس أبابا في يوليو ١٩٨٩ حيث أعلن رئيس الجمهورية الجديد الفريق "عمر البشير "موقف السودان الساعي لبسط الأمن والسلام الشامل ،

---

(١) الأستاذ معاوية أبو قرون – صحيفة الأنباء – عدد ٨/ أكتوبر/١٩٩٧م

١/ بيان رقم (١) – العميد عمر حسن احمد البشير - ٣٠/يونيو/١٩٨٩م .

تلي ذلك لقاء أديس أبابا في ١٩/٢٠ أغسطس ١٩٨٩ قامت بعده الحكومة بعقد مؤتمر لبحث المشكلة ومحاولة وضع الحلول لها وعرف بمؤتمر الحوار الوطني حول قضايا السلام وكان في الفترة من ٩ سبتمبر الي ٢٠ أكتوبر ١٩٨٩ ولكن استمرت الحركة الشعبية على موقفها .

وتتابعت جهود السلام عبر نيروبي التي شهدت العديد من جولات التفاوض والحوار منذ ١٩٨٩ وحتى ١٩٩٧ ، ابوجا الأولى ١٩٩١ والثانية ١٩٩٣ ومبادرة فرانكفورت ١٩٩٢ ، تلتها مفاوضات عنتبي ١٩٩٣ وتدخلت الهيئة الحكومية للتنمية ومكافحة التصحر "الإيقاد" بغرض حل النزاع عبر مبادرتها الشهيرة ١٩٩٣ ،إضافة إلى إسهامات الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر ١٩٩٥ وكادت هذه الجهود أن تثمر في بعض مراحلها لولا التدخلات الأمريكية التي أعادت الوضع إلى نقطة البداية في العام ١٩٩٢م حيث أشتد إوار المعارك في الجنوب و أكرهت الحركة على التخلي عما استحوذت عليه من مواقع إلا القليل النائي وفقدت الكثير من قواها ومقدراتها .

ولقد برز التدخل الامريكى السافر في شواهد ومواقف عديدة بدأت منذ العام ١٩٩٠م وفي رأى آخر قبل ذلك

ولكنه أسفر عن نفسه بوضوح في ١٩٩٢م - وتجلى في الأسلحة والإمداد العسكري والغذائي.

ويرى كثير من المراقبين السياسيين أن الحركة الشعبية لجنوب السودان تحولت لورقة ضغط بيد الإدارة الامريكية عقب إعلان نميرى لقوانين الشريعة الإسلامية وفشله في تعطيلها بعدئذ فقوهًا ودعمتها عبر المنظمات غير الحكومية والهيئات والجماعات المشبوهة الأغراض.

ثم زاد الحرص عليها بعد أن فشلت الأحزاب في إدارة البلاد أو تعطيل القوانين محل الغضب الغربي ، ولم يكن الاهتمام الامريكى بالقوانين الإسلامية في حد ذاته لتأثيراتها العدلية أو لمنافاتها لحقوق الإنسان كما تدعى ... ولكن لأنها تمثل إنفلاتا ثقافيا ذو بعد حضاري استقلالي وهو ما ترفضه الولايات المتحدة في الأساس وتخشى تأثيراته القابلة للتمدد .. في المناطق الاستراتيجية حيث النفط وإسرائيل والممرات المائية والثروات المعدنية .. والقابلة للتمدد كبعد ثقافي يحيي الشعور الإسلامي في السودان والدول الأفريقية وبالتالي الإحساس بالتميز الثقافي وربما الندية مع الغرب وثقافته ومن ثم الشعور بالمنافسة وحينها تخسر الولايات المتحدة والغرب عامة على الأقل ماديا ...

ولقد زاد الاهتمام بالحركة بعد وصول ضباط الجيش عبر ثورة الإنقاذ الوطني للحكم .. وعرف عنهم أنهم ذوو ميول إسلامية

... ولقد برز هذا بوضوح بعد إعلانهم التأكيد على تطبيق الشريعة الإسلامية في ١/ يناير /١٩٩١م وإعلان الجهاد والتعبئة بتكوين قوات الدفاع الشعبي في العام نفسه .

والدفع بها للجنوب السوداني حيث حققت انتصارات مقدرة على الحركة الشعبية كان أبرزها ما عرف بعمليات "صيف العبور ".. التي كانت فتحا على الجيش السوداني ،استعادت بها القوات المسلحة الثقة في النفس بعد الإهمال والخوار الذي عانته في ظل الحكومات الحزبية .

الولايات المتحدة .. وخطوات نحو الجنوب :

لن نستطيع حصر الدور الأمريكي في الجنوب إن أردنا ولن تسعه هذه المساحة إلا على هيئة وقفات حاوية وسريعة ...

(١) في عام ١٩٩٠م .. تقدمت الولايات المتحدة بمبادرة لم تقبلها الحكومة للتوسط بينها والحركة كانت أهم بنودها تخفيض القوات الحكومية بالجنوب ، وإدخال قوات دولية لمراقبة وقف إطلاق النار والفصل بين القوات ... وهنا كان جليا السعي الأمريكي لتدويل قضية الجنوب عبر إدخال قوات دولية .. وللأمر تبعاته التي لن تسمح بخط رجعة للحكومة السودانية يكفل لها تولي زمام المبادرة فيما بعد وموافقة الحكومة تعني اعترافها بالحركة الشعبية كند لجيش الدولة وان

قواها ليست متمـــردة ، ولكنهم جنود في جيش موازى (بغـــض النظر عن العدد) ولقد برزت في المبادرة روح المساواة بين الطرفين ..

(٢) – دعي مساعد وزير الخارجية الأمريكية للشـــئون الا فريقيـــه" هيرمان كوهين" في ذات العام ١٩٩٠ لجعل جوبا منطقـــة منزوعـــة السلاح ومركز للمنظمات الدولية .. ورفضت الحكومة كذلـــك إذ ليس لديها ما يدفعها للقبول بالتخلي عن الحاضرة الجنوبية وإحدى أهم العواصم الإقليمية خالية من السلاح ، ومقر للمنظمات التي هي الداعم الأكبر للحـــركة ... مما يعني فعليا تسليم المدينة للحركة واعتـــبرت الأمر مساسا بسيادة و أمن البلاد .

(٣) – في عمليات صيف العبور اتضح مدى الدعم الأمريكي للحركة الشعبية المتمردة حيث تجاوز الغذاءات والعون الإنســاني إلى الإمـــداد بالسلاح خاصة في الفتــرة من منتصـــف عام ١٩٩٥م وحتى اليوم .. ويتجلى الاهتمام الاميريكي بمشكلة الجنوب في عدد من الأنشـــطة الرسمية وغير الرسمية التي شهدتها واشنطن وأمتها شـــخصيات رسميـــة وسياسية أمريكية نافذة ...

كان أبرزها ندوتي واشنطن الأولى والثانية حيث عنونـــت أشهرها بإســـم " الســـودان المـــأساة المنـــسية "و أقيمـــت في ٢٠/ أكتوبر /١٩٩٤م ولكن كانت الأخيرة ذات أهميه خاصة وقـــد

عقدت في مارس/١٩٩٦م و تحدث فيها رئيس اللجنـــة الفرعيـــة المختصة في الكونغرس وذكر أن اللجنة تسـعى لإسـتصدار قـرار بخصوص السودان ، آملا في أن توضع قضية الجنوب علـــى قائمـــة اهتمامات المجتمع الدولي ، وتناول بالحديث حق تقرير المصير لجنوب السودان والذي يوصل فيما بعد للاستقلال .. أي إنفصال الجنـــوب عن الدولة القطرية ليتم تكوين السد المعني أمام انتقال التأثير العـــربي والإسلامي لأفريقيا جنوب خط الاستواء ..

وبجانب الندوتين شهدت واشنطن العديد مـــن المؤتمـرات الصحفية المنظمة لغلاة المعادين للسودان مثل البارونـــة "كـــارولين كوكس ".. إضافة لجلسات الاستماع المتكررة أمـــام الكونغـــرس الأمريكي و يستمع في تلك الجلسات إلى إفادات وشهادات بعض ممن لهم صلة بالموضوع محل الإهتمام والنقاش وهؤلاء المـــهتمين أهـــل اختصاص وثقة أحيانا وكثيرا غير ذلك ... ...يقصد عامة من هـــذه الجلسات تمليك المعلومات لأعضاء الكونغرس أو جلـــب الاهتمـــام الإعلامي لقضية ما أو محاولة التأثير أو الضغط على البيت الأبيـض .. ومن أبرز الإفادات المتعلقة بالسودان والتي عرضت أمام الكونغـــرس الأمريكي إفادة البروفسيور " روبرت كوليتر " باعتباره مـــن أهـــم الشخصيات الأمريكية المختصة بشئون السودان خاصـــة الجنـــوب ،

ولقد قدم العديد من البحوث والدراسات والكتب حولـــه .. وهـــو أحـــد المرجعيات التي تلجأ لها الحكـــومة الأمريكية فيمـــا يختص بشئون السودان ، وقد حذر "كوليتز " أعضاء لجنة إفريقيا بـالكونغرس من (مغبة التدخل العسكري في جنوب السودان نســبة لطبيعتـــه الوعـــرة مما قد يورط الولايات المتحدة في فيتنام أخرى ..)[1]

وجاء تحذير كوليتز بعد ما نشرته وسائل الإعلام الدولية عـــن مخططات أمريكية للتدخل المباشر في الحرب الدائرة بجنوب السودان في عام ١٩٩٦ ... وكان التمهيد لها قد تم بالغزو الأمريكي للصومـــال .. ولكن التجربة المـــرة التي عانت منها هنالك ،دفعتها لسحب قواتها ووضع محاذير على التدخل المباشر زاد فيه كشف صحيفة " الأهـــرام العربي " التي تصدرها موسسة الأهرام المصرية المقربة من الدوائر الرسمية لمخطط أمريكي يقضي بشن هجوم عسكري خاطف على الســـودان في ١٩٩٥ أطلق عليه اســـم " الأمطـــار الغزيـــرة " .. (أقـــترح الأمريكيون في البداية شنه ضد السودان في الخـــامس مـــن ســـبتمبر الماضـــي)[2] وتذكـــر الصحيفة أن (رفض مصر السماح بمـــرور رحلات جوية إنسانية أمريكية من أراضيها إلى الدول الأفريقية المجاورة

---

[1] مداولات الكونغرس الأمريكي – لجنة أفريقيا – جلسة إستماع ١٩٩٥ م

[2] صحيفة أخبار اليوم العدد ٩٨٥ – ٢٧ أبريل ١٩٩٧ م

للسودان ساعد في العـــدول عن شن هجوم عسكـــري أمريكي عليه) [٣] وعلقت بقـولها : (إن طموحات واشنطن تراجعـت في جنوب السودان منذ ذلك الحين ولكنها لم تتبدد نهائيا ونقلت عـن مصادرها أن مصر تقود المعارضة الأفريقية للمحاولـــة الأمريكيـة المزعـومة وحذرت الولايات المتحدة من أن قواتها ستواجـه مصـيرا أسوأ مما لاقته في الصومال) [٤]

بناءا على تلك المحاذير والخوف من تكرار تجربـــتي فيتنـام والصومال وتبعا لنصائح البروفسيور" روبرت كوليتر " وآخرون فقـد عملت الإدارة الأمريكية على توحيد الفصائل الجنوبيـــة المعارضـة والمقاتلة ... فعلى هامش مؤتمر جمعية الدراسات السودانية الدولي الذي عقد بمدينة بوسطن ، قدم البروفيسور "كوليتر" مقترحه الذي أعـــده بناء على دراســـة لمركـــز " **المســاواة العرقيـــة والتطلعـات الديمقراطـية** " والذي يرأسه " وليـــم كونتـوس " الســـفير الاميريكى الأسبق بالسودان وآخرون معه من المهتمين بالشـــئون الأفريقية وقضايا العالم الثالث ...

---

[٣] -المصدر السابق

[٤] - المصدر السابق

أكد كوليتز أن مقترحه المسمى (**مقترح لسياسة أمريكية تجاه السودان**) نتج عن عدم وجود سياسة واضحة للحكومة الأمريكية تجاه السودان وان مجموعة العمل في البنتاجون والمختصة بالسودان و المسماة (**Sudan Task Fox**) حين سألهم عن خططهم عن السودان وجدهم لا يعرفون ماذا يفعلون ثم أقر (بأن للإدارة الأمريكية اهتمامات أخرى غير السودان ولكنها في نفس الوقت تهتم بالحرب في الجنوب ونسبة لأن الحكومة الأمريكية ليس لها نفوذ على الحكومة السودانية ، فأنها لا تستطيع فعل شئ غير أن لديها نفوذ لدى الجيش الشعبي لتحرير السودان ويمكن إستغلال ذلك في توحيد الفصائل المنشقة لأن في إنقسامهم إضعاف لموقفهم التفاوضي مع الحكومة)[1] ، لذا كان من أهم دوافع قيام ندوتي واشنطن توحيد تلك الفصائل ، والإدارة الأمريكية بشقيها التشريعي ممثلا في " **الكونغرس**" والخارجية الأمريكية بوصفها ممثلة " **للجهاز التنفيذي**" .. قد شاركت في الندوتين عبر " جورج موس " مساعد وزير الخارجية للشئون الأفريقية والكونغرس مثله " هارى جونستون " رئيس اللجنة الفرعية لأفريقيا ولقد نادى " جورج موس " ممثل الخارجية الأمريكية بضرورة منح حق تقرير المصير

---

[1] - روبرت كوليتز - مؤتمر جمعية الدراسات السودانية الدولي - بوسطن ١٩٩٥ م

للجنوب السوداني ،وكان هذا يعني إسفار الإدارة الأمريكية عن رأيها الحقيقي بتبنيها لانفصال الجنوب أو فرض الكونفدرالية، وإن لم تصدر بيانا يقول بذلك صراحة وذلك لسببين هامين :-

١/ إن إعلاننا هذا المضمون سيسبب إنزعاجا بالغا للحكومة المصرية الحليف الاستراتيجي لأمريكا في المنطقة بعد إسرائيل ...فمياه النيل هي أهم أولويات مصر في السودان والمساس بها يعني تهديد الأمن القومي المصري لذا فمصر شديدة الحساسية تجاه خيار فصل الجنوب وتكوين دولة منفصلة في أعاليه .

٢/ لأمريكا مصالح إقتصادية مستقبلية في السودان هي حريصة عليها خاصة في مجال البترول ومع وجود إحتمالات لإستمرار الحكومة الحالية فمن الأفضل لها .. أن تمسك العصا من نصفها .. فإعلان صريح مثل هذا يقضي على طموحاتها المستقبلية إذ أنه يعني الانحياز الفاضح لأحد طرفي النزاع .

وبدأت الحكومة الأمريكية عبر أجهزتها الأمنية والدبلوماسية في تسويق مقترح الجنوب المنفصل عبر الآخرين خاصة المنظمات التطوعية ... ويبدو ذلك جليا في عدد من النماذج نورد منها فقط التقرير الذي أعدته منظمة (N.P.A) النرويجية المشبوهة التي تنسق في جهودها مع الأمم المتحدة و تعمل في الجنوب بصورة غير مشروعة

إنطلاقا من الحدود الأوغندية ويديرها ضابط سابق في سلاح الجو النرويجي .. شارك في قوات الأمم المتحدة أحيانا وعمل خبيرا عسكريا بالقوات المسلحة بدولة الإمارات العربية المتحدة ثم تفرغ للعمل الإنساني بجنوب السودان ولما يبلغ سن المعاش بعد !!! ولقد تناول التقرير المعنون بإسم " مسألة السلام في السودان " ضرورة وجود إدارة مدنية في الجنوب مع دراسة متطلباتها وإدارتها ولكنه ركز على تشخيص الوضع التاريخي والمعاصر فيقول (بتاريخ قريب يمتد إلى ثلاثين عاما من النضال المسلح من أجل التحرير في غضون السنوات الإحدى والأربعين الأخيرة - يصح أن نقول أن السلام الدائم في السودان يعني السلام العادل .. وفيما يبدو فإن البديلان القادران على تحقيق السلام العادل والاستقرار هما ... جنوب قوي داخل اتحاد فيدرالي أو جنوب قوي يمثل دولة مستقلة والشيء الهام الذي يجب ملاحظته في سياق هذه الورقة هو ان كلا الخيارين يشتملان على جنوب قوي)[1].

. لماذا هذا الاهتمام من المنظمة ذات الغطاء الطوعي الخيري يقول التقرير أنه (نظرا للتخلف المستفحل والإستغلال والقمع الذي

(1) - تقرير مسألة السلام في السودان - مقدم لمندوب الأمم المتحدة - بتاريخ ٨/أغسطس/١٩٩٦م

تعرض له جنوب السودان طوال عهود الإستعمار والهيمنة الشمالية عليه سواء كانت تركية - مصرية أو سودانية)[1] وكل هذه الجهود في سبيل خلق أرضية إعلامية تبرر الدعم الغربي والكنسي للمتمردين الانفصاليين بأنه تم لوجود العنصرية والعرقية والظلم والاستعباد ..

وتواصلت الجهود الأمريكية الرسمية ممثلة في وزارة الخارجية لحصار السودان وعزله وفي معرض ردها على النائب الأمريكي "فرانك وولف" والمعروف بعدائيته للسودان و فاعليته في منظمة التضامن المسيحي وتكراره لزيارة السودان بصورة غير مشروعة والذي أورد دعاوى عن وجود الرق في السودان حيث استعباد الأفارقة السود المسيحيين من جنوب السودان وجبال النوبة والنيل الأزرق ودعا إلى (ضرورة القيام بعمل حيوي وجذري ضد السودان ..) رد " جورج موس" مساعد وزير الخارجية للشئون الأفريقية بقوله (أننا عملنا من اجل قيام تعاون ثنائي مع الحلفاء في محاولة لفرض عزلة على الخرطوم بالجهود الدبلوماسية لوقف وصول الدعم والشحنات العسكرية للسودان)*(1) .

---

[1] - المصدر السابق .

(1) - جورج موس - رد وزارة الخارجية على الكونغرس بشأن السودان - ١٩٩٥ من

وبالفعل فإن الولايات المتحدة الأمريكية بعد فشلها في محاولات توحيد المعارضة عبر إعلان واشنطن في ٢٠/أكتوبر/١٩٩٣م تحركت في اتجاه عزل السودان والعمل على تصدع علاقاته الجوارية وإستنزافه إقتصاديا وعسكريا وبشريا عبر حروبات مستمرة متبادلة يشنها جيرانه عليه .. كمخالب للقط الاميريكي .

ستحارب السودان بجيرانه :

هذه الجملة العنوان كانت من الجمل التي يمكن لنا صادقين أن نصفها بأنها مفيدة حيث عبرت بصورة حاوية عن السياسة الأمريكية تجاه السودان في مرحلة محددة ، وهي تصريح لمستشار الأمن القومي الأمريكي " أنطوني ليك " الذي قال: (بان واشنطن ستعمل على إحتواء السودان من خلال جيرانه أثيوبيا إرتريا .. وأوغندا ومصر .. ستحارب السودان بجيرانه ..) [٢]

تبعا لذلك قامت الولايات المتحدة بدعم جيران السودان المعنيين بتنفيذ الإستراتيجية الأمريكية في سياق (أن على الولايات المتحدة ضمان أن تسير دبلوماسيتها وقوتها العسكري يدا بيد فيما تتابع

---

[٢] - انطوني ليك - مستشار الأمن القومي الأمريكي - يهودي من غلاة المعادين للسودان- بيان أمام الكونغرس وتصريح صحفي ١٩٩٥

سياسة المشاركة في الشئون الدولية في أنحاء العـــالم) *[٣] ، كمـــا تحدث"وليم كوهين " عن أهمية المساعدات الأمنية الأمريكية لحلفائــها (إن المساعدات الأمنية الأمريكية تساعد في إيصال المعدات العسكرية والتدريب والبنية العسكرية التحتية المناسبة إلى حلفاء الولايات المتحدة بحيث تستطيع قوات هذه الدول العمل بشكل فعال مـــع القـــوات الأمريكية)*[٤] ، واضــــاف (أن أســـاس علاقـــات التحـــالف العسكري الناجحة تقام على مدى فترة طويلة ، وهي تتشكل في جزء أساسي منها بفعل برامج المساعدة الأمنية)*[٥] .

وكان في تصريحات" أنطونـــي ليك " أمام الكونغرس عـــن سياسة الاحتواء عبر الجيران وحديث وزير الدفاع عن المســـــاعدات الأمنية للحلفاء رسالة واضحة يحق للخرطوم أن تفسرها كيفما تشـــاء ... وكل التفسيرات سواء من حسن الظن في واشنطن أو المعادين لها ،

---

[٣] – وليم كوهين – وزير الدفاع الأمريكي – يهودي من غلاة المعادين للسودان – تصريح خاص امام لجنة العلاقات الدولية في مجلس النواب – واشنطن ١٩٩٧/٣/٢١م

[٤] – المصدر السابق .

[٥] – المصدر السابق .

اتفقت على أن السودان هو المعنى في نظامه وحدوده ومشروعه الحضاري الذي شوهه الإعلام الأمريكي خاصة والغربي عامة وأساء إليه لشيء في نفس يعقوب وان كنا هنا لا ننفي أن من بعض منظري المشروع و بل بعض عرابيه من قد أساء إليه أيضا من حيث لا يدرى بالتصريحات غير المضبوطة والتي حسبت ضد النظام وتوجهاته وأقلقت بعض جيرانه ... كان العامل الأساسي في هذا الوضع ضعف التجربة الناتجة عن الحداثة في محاولات إدارة الدولة والعلاقات الدولية إضافة للإرتباك الناتج عن الإحساس بالمراقبة والمتابعة والاستهداف ، بمعنى أدق نقول أن حكومة الخرطوم صارت تتعامل في سياستها الداخلية والخارجية كمن يتلمس مواطئ قدميه في أرض تغطيها حقول الألغام .. ولهذا وجدت بعض الأخطاء التي أضرت بالمشروع المطروح وصارت منافذ للنقد والطرق الإعلامي .

دول الجوار :

للسودان تسع جارات هي مصر ، ليبيا ، أفريقيا الوسطى ،أوغندا ، زائير ، كينيا ، أثيوبيا ، تشاد ، إضافة لإرتريا .. وكانت الدول جميعها معنية بتلك الدعوة ولكن كانت هناك خصوصية لأثيوبيا وإرتريا ومصر أوغندا ، و سارعت كل من " إرتريا وأثيوبيا " إلى الإتصال بالخرطوم التي تربطها علاقات جوار حسنة وخاصة هلد

لإبلاغها بالضغوط الأمريكية التي تمارس عليها لإنهاء تلك العلاقات ذات الخصوصية بينها والسودان بإعتبارية المعونات الإقتصادية والسياسية التي قدمها السودان لأنظمة تلك الدول بجانب الدعم اللوجستي الذي وفره لها حينما كانت مجرد حركات تحرر حتى وصلت أحدها لتولى الحكم ومقاليد السلطة وحصلت الأخرى على دولة مستقلة .. ولكن كان الضغط الترهيبي الأمريكي أقوى وأشد بأسا على تلك الدول .

وبصورة متوالية ومبررات غير موضوعية ومسوغات ضعيفة توالى إعلان تلك الدول لإنهاء علاقاتها مع السودان بكل خصوصيتها وتاريخها .. بل وتجاوز الأمر قطع العلاقات إلى إتهام السودان بدعم الحركات المعارضة لها وانه يسعى لتقويض الأنظمة الحاكمة في تلك الدول .. وبدأ كل منها في ممارسة الدور المرسوم له بدقة وعزم .

أوغندا والإمبراطورية العجوز:

عرفت أوغندا بلؤلؤة أفريقيا ، لوجود عدد من البحيرات والمسطحات المائية العذبة بها التي ترفد النيل وغيره من الأنهار الكبرى وأبرزها بحيرة فكتوريا كبرى البحيرات الإفريقية .. خضعت أوغندا لسنوات متطاولات لحكم التاج البريطاني ، ثم نالت إستقلالها عام ١٩٦٠م ولكن لم تشهد إستقرارا سياسيا قط ...

حتى في عهد الرئيس الحالي "يورى موسفيني" ، الذي يحكم منذ العام ١٩٨٦م ، وظلت أوغندا تمثل أهمية خاصة لبريطانيا زادت بعد وصول موسفيني للحكم الذي أشتهر بعلاقاته المشبوهة بالشركات ورجال الأعمال البريطانيين و بالمخابرات البريطانية ووسائل الإعلام الغربية ،برزت هذه العلاقة للعيان في عام ١٩٨٣م حينما بدأ صديقه ورفيق دراسته " جون قرنق دي مابيور " حربه ضد حكومة السودان فتولى " موسيفني" دور المساعد لوسائل الإعلام الغربية من خلال لجنة مساعدة اللاجئين الأمريكية وخدمات مديرها العام "روجر وينتر " " "Roger Winter"[1]....

وتمكن " موسفيني " من خلال العلاقات من إسقاط حكومة "ميلتون أبوتى " في أوغندا .. والذي لعبت فيه الصحافة دورا كبيرا ، وتولى "يورى "السلطة فما هي الأهمية التي تتمتع بها أوغندا ولماذا المراهنة على موسفيني من قبل لندن ؟! .. تأتى أهمية أوغندا في علاقاتها التاريخية بلندن من واقع الخلفية الاستعمارية والمصالح الكبيرة التي تمثلها للشركات البريطانية، وتكمن أهمية موسفيني بإعتباره عميلا

(١) / تقرير خاص من مجلة – EIR – يونيو ١٩٩٧م

بريطانيا كما يصفه السياسي والكاتب الأمريكي ليندون لاروش [١] والذي اتهمه صراحة بأنه وراء المذابح والقلاقل التي تعرضت لها أفريقيا وستعرض لها .. (كل أفريقيا مهددة بإبادة جماعية على يد هذا الحاكم الفاشي الذي يعمل للكمنولث)[٢] ويعود مرة أخرى في ذات اللقاء ليقول (الناظر لخريطة أفريقيا يدرك إن كل إفريقيا مهددة بإبادة جماعية كبرى يديرها موسفيني)[٣]..ويؤكد أن (هناك مذابح في إفريقيا تفوق كل المذابح التي حدثت في العالم بإستثناء ما فعله النازيون لليهود في شرق أوربا خلال الحرب العالمية الأخيرة .. هذه المذابح يدور رحاها الآن ويرتكبها الرئيس اليوغندي موسفيني مستعينا بأشخاص مثل كابيلا وكاجامي وغيرهم) [٤]

وصفت مجلة EIR في تقرير لها موسفيني (بأنه وصل للحكم بعد أن تم تدريبه تدريبا جيدا على نظرية التطهير العرقي والثورة الاجتماعية المستمرة والاضطرابات بلا نهاية) ، و تحدثت " لندا دو هويو " عن كل ذلك قائلة :

---

[١] ليندون لاروش- كاتب ومحلل سياسي أمريكي -يصدر لصحيفة EIRالشهيرة بتقاريرها الصحفية المميزة والبعيدة عن تأثير الإدارة الامريكية

[٢] ليندون لاروش -- EIR talk – ١/يوليو /١٩٩٧م– لقاء اذاعي

[٣]. المصدر السابق

[٤] المصدر السابق

(أن أوغندا هي أنسب مكان لإنطلاق الحروب ضد الغير، وهي أيضا بلد مهم للمخابرات البريطانية لأنها تقع في قاعدة حوض النيل . وعلى الرغم من أن أوغندا بلد لاشواطئ لها على البحر إلا أن موقعها في وسط شرق أفريقيا جعل منها أداة مهمة للوصول للسودان و للقرن الأفريقي وإلى الغرب منها زائير وجنوبا حتى المناطق المرتبطة بجنوب إفريقيا)[٥] ..وفي تقرير بعنوان (**لا بالمرة للإبادة الجماعية التي تمارسها لندن ضد الأفارقة**) حمل التقرير الرئيس اليوغندى مسئولية ما يحدث في أفريقيا بوصفه عميلا لبريطانيا وللشركات الأجنبية بهدف السيطرة على مصادر الثروة في أفريقيا وإلى تدميرها معتمدا على زعزعة الأمن والإستقرار والتسبب في حروب الإبادة الجماعية وإشعال الحروب في الدول المجاورة)[٦]

لقد دخلت بريطانيا لساحة المعركة ضد السودان .. حفاظا على مصالح الغرب في القارة بصفتها الراعى السابق لتلك المصالح .. ولأن مسرح الأحداث هو حصتها بعد مؤتمر برلين في العام **١٨٨٢م – ١٨٨٣م** ، بدأت تدخلاتها في المنطقة عبر موسفيني وأوغندا لؤلؤه التاج السابقة .. وكان موسفيني نفسه صريحا

---

[٥] خطاب لند دوهوير من أمام سمنار بواشنطن ١٨/يونيو/١٩٩٧م

[٦] تقرير EIR – ٤/يوليو/١٩٩٧م

هذا الشأن حيث قال : (أن مهمتي هي أن أرى إرتريا ، أثيوبيا ، السودان ، كينيا ، تنزانيا ، رواندا ، بوروندي ، زائير ، أوغندا تصير دولا إتحادية في إطار أمة واحدة ، هو ليس خيارا الآن ، إنما هو اصبح لزاما أن تكون شرق إفريقيا أمة واحدة..... أما أن تكون أمة واحدة أو نهلك كما فعل هتلر لتوطيد ألمانيا يجب علينا أن نعمل هنا)[1] من الواضح أننا لا نحتاج لتفسير هذه العبارة التي هي من أوضح ما يكون ولكن لنا ملاحظات نوردها :-

١/ أن هذه الدولة الاتحادية التي تحدث موسفيني عن أنه سينشئها لم تخرج عن مقترح القرن الأفريقي العظيم التي نادى بها الرئيس كلنتون عام ١٩٩٤م وكذلك هي ذات الحدود التي قدمها الدبلوماسي اليوغندي في مقترحه بشأن الخريطة السياسية الجديدة لأفريقيا في ذات العام .

٢/ أعلن "يوري موسفيني" بوضوح أنه سيفرض هذه الدولة قسرا كما فعل هتلر في أوربا .. وبالتالي يرى أن المذابح والإنتهاكات الخطيرة التي قام بها "هتلر" تبررها الغاية ، وان أفريقيا ينتظرها نفس المصير إن هي عارضت فالغاية عنده تبررها الوسيلة ..(عدد الوفيات

---

[1] الرئيس يوري موسفيني – خطاب امام الجمعيه العموميه لرابطه القانون بشرق افريقيا ٤/ابريل /١٩٩٧م

الناتجة عن الإغتيالات والمرض والجوع التي تعرض لها ٥٠٠ ألف لاجئ من الهوتو شرقي زائير ، من قتلهم ؟ قتلهم هؤلاء الذين سيصنعون النموذج اليوغندي المحتذى به كما يعتبر موتهم نتيجة حتمية لصنع هذا المثال المتقدم)[٢]

٣/ إبتدر حديثه بكلمة "مهمق" ! .. من الذي أوكل إليه هذه المهمة ؟!.. وما هي المصلحة التي تنالها أفريقيا من هذه الدولة الجديدة ؟.. وكيف تحكم ؟.

٤/ كان هتلر ينادي بغلبة الجنس " الآرى " ورفعته وتميزه .. فهل يريد "موسفين " أن يضفي على " التوتسي " ذات الصفات ؟... حروب رواندا وبوروندي وزائير التي أوصلت ومكنت أقلية التوتسي من الحكم تشير إلى ذلك . بعد سقوط الدويلات الثلاث المتاخمة لأوغندا لم يبق إلا السودان وأخطاره الثقافية التي يحملها ..التي بدأت آثارها تظهر على مسلمي أوغندا الذين شعروا ولأول مرة بأن لهم

---

(٢) تعليق لبندون لاروش على حديث جفرى ساك من معهد هارفارد للتنمية ووكيل صندوق النقد الدولي لمنطقة شرق أوربا وآسيا والذي قال انه (يجب على الغرب أن يؤجل دورة الأخلاقية) و بأن (مجاورة لوغندا لأمر مثير) وأشاد بسجل حقوق الإنسان في عهد يوري – لقاء إذاعي للاروش في – ١/ يوليو /١٩٩٧م .

أخوة في الدين و أهم ينتمون لامة ذات ثقافة ثرة وغنية ، وبدأت بينهم بتأثير التداخل القبلي والاقتصادي مع السودان حركة إحياء ديني مقدرة.. ونما بداخلهم الشعور بالتميز عن الآخرين وأزداد الوعي الديني لديهم والإحساس بالمسئولية وفي هذا هديد لنفوذ موسيفيني وتقويض لجهود الكنيسة التي سعت وعبر جهود مكثفة منذ القرن التاسع عشر لتحويل أوغندا إلى دولة مسيحية منيعة ضد التمدد العربي والإسلامي الوافد من شمال إفريقيا ، إذا كان لا بد من الاتجاه نحو السودان، وساحة الجنوب لست غريبة على موسفيني الذي كان حاضرا بها بصورة فعلية منذ ١٩٨٣م عند تمرد صديقه "جون قرنق " و دعمه اكثر بعد توليه للحكم في كمبالا ، وبالفعل أتجه " موسفيني " بثقله نحو السودان حتى قبل إستيلاء " لوران كابيلا " على الأمور في كنشاسا بعد معارك وحروب عصابات تواصلت منذ أبريل ١٩٩٠م حتى دخل العاصمة الزائيرية في خريف ١٩٩٧م .

وتجلى التدخل اليوغندى السافر في السودان حينما تبنى الاقتراح الأمريكي بشن حملة عسكرية متكاملة تشارك فيها القوات الأمريكية وسبع دول أخرى أهمها أثيوبيا وإرتريا وأوغندا .. وكشفت عنها الصحافة العالمية وأشرنا إليها ضمن وثائقنا نقلا عن صحيفة الأهرام الدولي المصرية شبه رسمية .. وتحت الضغوط الرسمية لبعض

الحكومات الأفريقية والقلق المصري أنسحب الأمريكيـون وتـولى موسفيني بمعاونة الإرتريين مهمة عملية " الأمطار الغزيرة " التي جرت في شتاء عام ١٩٩٥م و عرفت في السودان بإسم " الاعتداء اليوغندي الأول " .. والذي تلاه إعتداء آخـر بدأ في مارس ١٩٩٧م شنته القوات اليوغندية عبر فرقة عسكرية كاملة ، تحت راية الجيش الشعبي لتحرير السودان وكادت تلك القوات أن تحتل مدينه جوبا ، ولكـن تصدى لها الجيش السوداني وكتائب قوات الدفاع الشعبي في سلسـلة من المعارك الطاحنة كان أشهرها معركتي " الميل ٤٠ الأولى والثانيـة" التي دمرت فيها الآليات والمقدرات العسكرية اليوغندية التي دفعت بها للسودان ، كما خسرت العديد من القوات .. الأمـر الذي لم يعتده موسفيني في حـروباته المتابعة داخل القارة ، وعلقـت مجلة EIR على ذلك بقولها (ظلت حكومة السودان في مكانها باقيـة لأن السـودان ليس كزائير ، لأن السـودان به مؤسسات وطنيـة قد جهزت للدفاع عن الأمة)[1].

نادى موسفيني بإعتبار قضية الجنوب حركة تحرر وذلك حتى تتمكن الدول الأفريقية من دعم جون قرنق والجيش الشعبي بالسلاح ، لأن الجنوب يتعرض لاضطهاد عرقي وديني من قبل الشمال المسـلم

(١) مجلة EIR عدد ٤ يوليو ١٩٩٧ م

العـــربي ... وفي تعليق لأحد المسئولين الأمريكيين أوردته الصحف ذكر أن (الرئيس مـــوسفيني وعندما سأله عن لماذا يخـــوض هـــذه الحرب المستنـــزفة في الجنوب ؟ ...رد بأنه يريد خلـــق حـــزام أمـــني شمال أوغندا .. وبسؤاله عن الحـــــدود المناسبة برأيه لهذا الحـــزام ؟ رد بقوله : ملكال !) .

وملكال هذه هي عاصمة ولاية أعالي النيل إحدى ولايـــات الجنوب العشرة و تعد أقرب الولايات إلى الشمال ، بمعنى آخر يـــرى موسفيني أن أمن أوغندا يقوم على فصل الجنوب عـــن الســـودان ، ولابد أن يشارك الآخرون ، وما تزال الأصابع البريطانيـــة واضحـــة حيث تحولت دول الجوار السوداني إلى ساحة حركة لمنظمة التضـــامن المسيحي برئاســـة البـــارونة" كارولين كوكس ".. عضو مجلـــس اللوردات البريطاني ... والموظفة السابقة بجهاز المخابرات البريطـــاني الخارجي ..

أخيرا ، وبعد توقيع إتفاقية الخرطوم للسلام ، ورعاية منظمـــة الإيقاد لمفاوضات السلام ، وقبول الحكومة السودانية بجعـــل إتفـــاق المبادئ المطـــــروح من الإيقاد في ١٧- مارس **١٩٩٤** م كمبـــدأ للتفاوض غير ملزم للحكومة ، كان لابد لموسفيني من التعـــامل مـــع الواقع الجديد ، حيث أبدى نوايا حسنة تجاه السودان ، وبادر بالإلتقاء

بالرئيس السوداني ، ونادى بضرورة إحلال الحوار والمفاوضات كبديل للصـــراع المسلح ، لكن ..هل ماضي الرئيس اليوغندى مشـجع ، ومقنع للحكومة السودانية حتى تثق فيه ..نورد هنا تعليقا " للينـدا دى هويو" في تقريرها **(لا بالمرة للإبادة الجماعية التي تمارسها لنــدن ضد الأفارقة)** حيث تقول : (إن موسفيني لا يحـترم المفاوضـات وشاهدنا في ذلك أنه عندما كان يفاوض حكومة الرئيس " ميلتـون أبوتى " أمر بالزحف على كمبالا ، حيث تم له الإسـتيلاء عليـها ، وعندما كان يتباحث مع الرئيس الرواندى " ها بيا ريمانـا " حـول مشكلة " ألبانيا رواندا " في واشنطن أمر قواته بغزو رواندا ، وكذلـك في أبريل عام ١٩٩٤ م عندما تمت إتفاقية بين الجبهة الوطنية الرواندية وحكومة " ها بيا ريمانا "، والرئيس في طريق عودته لتطبيق الإتفاقيـة قتل في مطار "كيغالى "، ويقول الكثيرون أن العساكر اليوغنديين ، هم المسئولون عن مقتله)[1]. ولحكومة السودان سابقة معه ، تجسد فيـها نقضه للعهود والمواثيق .

---

[1] تقرير لندا دى هيو سالف الذكر – ١٨ يونيو ١٩٩٧ م

أثيوبيا :

هي جارة السودان الشرقية وكذلك الجنوبية الشرقية ، وليس لها حدود جغرافية فاصلة معه ، وهنالك خلافات حدودية تاريخية بينهما منذ عام ١٨٧٩م تاريخ احتلال أجزاء من السودان في عهد الملك " منليك " الذي إستولى على مناطق سودانية معروفة تاريخيا منذ عهد السلطنة الزرقاء بأنها جزء لا يتجزأ من السودان بل أن بعضها كان دافعا أساسيا لغزو محمد علي باشا للسودان في عام ١٨٢١م حيث قضى على السلطنة الزرقاء والمناطق هي " جميلا ، القلابات ، فازوغلي وبني شنقول " وأخيرا إستولى على "بني شنقول " نهائيا حين تساهل معه فيها المستر" هاتنجون " معتمد بريطانيا في أديس أبابا وكان هذا التساهل ناتج عن منح الإمبراطور الحبشي مستر " بن " مندوب إحدى الشركات الإنجليزية امتياز إستغلال تلك المنطقة ..*[1]

والحدود مع السودان هي الأطول في إثيوبيا إذ تمتد لتشمل الجزء الأوسط والجنوبي من أثيوبيا ، تبلغ الأولى ١٣١٥/كلم والثانية ٢٩٠/كلم ، وظلت العلاقات السودانية الأثيوبية في حالة

---

[1] ١/ المرجع – كتاب الحكم والإدارة في السودان – علي حسن عبد الله – الطبعة الأولى ١٩٨٦م – دار المستقبل العربي القاهرة .

مد وجزر طوال تاريخها ، فكانت طيبة إبان حكم الإمبراطور "هيلاسلاسي " وبداية حكم الدرق لتتحول لعداء وصراع مسلح...بدعم كل من البلدين لمعارضة البلد الآخر في عهد الرئيس "منقستو هيلاماريام ".

ثم شهدت تحسنا كبيرا عند وصول الجبهة الشعبية للحكم وتولى "ملس زناوي " مقاليد الأمور، ولعب دعم السودان للقوات المعارضة لنظام الدرق دورا كبيرا في تدعيم تلك العلاقة ..

وضمن الخط العام المعادي للخرطوم تعرضت أديس أبابا في أواخر عام ١٩٩٤م لضغوط كبيرة لقطع علاقاقا بالسودان ولكنها ظلت صامدة ، وأخطرت السودان بتلك الضغوط .

وفي يونيو عام ١٩٩٥م – حدثت محاولة الإغتيال الفاشل للرئيس المصري "حسنى مبارك "في البدء كان الموقف الأثيوبي إيجابيا تجاه السودان ، حتى تكاثرت عليهم الضغوط وهذا ما علق عليه تقرير "EIR" بقوله (وتحت وطأة ضغوط عظيمة من جانب الولايات المتحدة وبريطانيا ، تعرض لها " ملس زناوى " وهو شيوعي أخر منحدر من الحزب الشيوعي الألباني فقد خضع لهذه الضغوط في يونيو ١٩٩٥م واعلن من جهته أن حكومة السودان مسؤولة عن عملية محاولة إغتيال الرئيس المصري حسنى مبارك في أديس أبابا

في يونيو ١٩٩٥م وهذه التهمة صارت مقدمة لعقوبات تم فرضها على السودان وربما تفرض عليه عقوبات اكثر وبذا إنضمت أثيوبيا لرابطة موسيفني)[٢] .

تحولت إثيوبيا وبصورة فجائية تثير الريبة من الدفاع عن السودان وتصدر منصة العدالة والموضوعية في قضيه محاولة الإغتيال واتهام الأجهزة الأمنية والإعلامية المصرية بالكذب إلى اتهام السودان بإخفاء وإيواء المتهمين بل وصعدت شكوى بذلك لمجلس الأمن ،كانت هي حجر الزاوية في السيناريو الأمريكي القاضي بتدويل الشأن السوداني ودمغ السودان بالإرهاب وإدخاله في بند الدول المغضوب عليها من قبل المنظمات الدولية والواقعة تحت سياسة العقوبات الدولية ، وواصلت تصعيد الوضع إلى احتلال ومهاجمة مناطق حدودية سودانية ، وقدمت الدعم اللوجستي للمعارضة السودانية بل وقاتل الجيش الإثيوبي بالإنابة في غالب تلك المعارك في الحدود الشرقية والتي بدأت بصورة واضحة يوم الأحد ١٢/يناير/١٩٩٧م وان كانت بدايتها الأولى في ديسمبر من العام ١٩٩٦م .

---

[٢] مجلة EIR – مصدر سابق

وبدأت التحركات الأمريكية لكسب حكومة الثوار قبل ذلك حينما أرسلت سفارة الولايات المتحدة في أديس أبابا رسالة للأمانة العامة لمنظمة الوحدة الإفريقية تنقل فيها تبرعها بمبلغ ٥٠ ألف دولار لتغطية نفقات سفر واقامة ممثلي ومبعوثي حكومات أثيوبيا وأوغندا واريتريا المشاركين في مفاوضات "الإيقاد" بشأن التراع في جنوب السودان .. وتطلب المذكرة موافاتها بتفاصيل صرف المبلغ ، كما تبرعت بمبلغ ١٠٠ ألف دولار لتغطية نشاطات الرئيس الأثيوبي في فض نزاعات القرن الأفريقي، وهذا يدل على أن الاهتمام الأمريكي بالسودان يعني كذلك الاهتمام بجيرانه.

والأمريكيون بعد دراسة للواقع الجواري السوداني يرون أن أثيوبيا محقة بأكثر من غيرها من جيران السودان في تخوفاتها منه ، وذلك نسبه لحساسية موقفها ، فهي تضم عددية ضخمة من المسلمين تقدر بأكثر من ٣٥ مليون نسمة وفي ذات الوقت تاريخيا هي راعية المسيحية في أفريقيا وكنيستها من أعرق واقدم الكنائس العالمية .

وقد نجحت الولايات المتحدة في إقلاق الأثيوبين وإثارة مخاوفهم من السودان ، لكن كان الابتزاز الذي مارسته الولايات المتحدة هو الدافع الأكبر لجعل الأثيوبيون يتحركون ضد السودان .. فأثيوبيا

أفقرها الدرك إبان عهد " منقستو" إضافة لكونها تعاني من كثافة سكانية تقابلها محدودية في الأراضي الصالحة للزراعة وهو ما جعل الحكومة الإثيوبية معتمدة على المعونات الاقتصادية ، خاصة في مجالات الغذاء ، كما أنها تحتاج لمصادر تمويل لمشاريعها التنموية .. وتحت ضغط الغذاء والمال تم دفع حكومة" زناوى "لعداء السودان .

وعرف عن أثيوبيا أنها من الدول الأفريقية القليلة التي تربطها علاقات تاريخية مع الولايات المتحدة حتى قبل مصر ، ساهمت في خلق أرضية لقيام تحالف بين الدولتين سواء محدود أو متكامل هو كما عبر عنه وليم كوهين وزير الدفاع الأمريكي (نوع من علاقات التحالف العسكري الناجحة التي تقام على مدى فترة طويلة)[١] .

بدأت هذه العلاقة طويلة المدى في عهد الإمبراطور " هيلاسلاسي " الذي عرض خدماته على الحكومة الأمريكية ، حيث دعمته طويلا وقامت بإنشاء قاعدة " كارنيو" العسكرية وجعلتها ولاية أمريكية مستقلة داخل أثيوبيا في الإقليم الذي يعرف اليوم بدولة إريتريا ، وحافظت الولايات المتحدة على علاقاتها المتميزة بأثيوبيا وحرصت عليها اكثر بعد الزحف الإشتراكي على الأنظمة

---

(١) تصريح وليم كوهين – مصدر سابق

الأفريقية ودخول السوفيت للمنطقة .. بل إستمرت في علاقتها هـا حتى بعد سقوط " هيلاسلاسى " وإستيلاء الدرق على الحكم ، فلقد كانت تعتبر مصالحها في حقول البترول السعودية ، تقتضي تنمية وتقوية المناطق المحيطة بالمملكة ، وبالتالي تأمين العربية السعودية إضافة إلى أن الولايات المتحدة لم تستطيع حينئذ الحصول على قواعد بالبحر الأحمر فكانت قاعدة " كارنيو" العسكرية (٣٥٠٠ نسمة) [١] هامة جدا كقاعدة أساسية ورائدة في المنطقة (ولقد ادعى الأمريكيون حينها أنها تعمل في مجالات تسهيلات الإتصالات بين الناقلات والمتحركات في البحر الأحمر .. وهو ما ثبت عدم صحته فيما بعد إذ تبين إنها كانت تستعمل كمحطة تصنت إلكترونية للتشويش على الرادارات ، كما كانت تخدم الغواصات النووية فأصبحت بذلك هدفا عسكريا نوويا للاتحاد السوفيتي)[٢]

وبعد تدهور علاقتها بحكومة الدرق إستمرت كذلك بدعمها حفاظا على مصالحها وإبان معارك التحرير الإريترية أستنجد الدرق* بالولايات المتحدة عندما هاجمت جبهة التحرير الارتيرية E.L.F

---

[١] وراد العدد بعد ذلك

[٢] مجلة EthioCop – إصدارة الخارجية الإثيوبية الدورية – عدد ١٤ يونيو ١٩٩٥ م

* الدرق – هو الاسم الذي عرف به ضباط الجيش في إثيوبيا – واشتهر به الضباط الماركسيون الذين أطاحوا هيلاسلاسي

والجبهة الشعبية لتحرير إريتريا P.L.F أسمرا في أواخر يناير ١٩٧٥م حيث(طلب الدرك استئناف شحن الأسلحة لهم لمواجهة المقاومة العربية في إريتريا .... وشجعتها إسرائيل التي أدركت أن أثيوبيا تساعد الأفارقة السود .. ومن ثم استأنفت الولايات المتحدة شحن الأسلحة لأثيوبيا ودعمها بأسلحة تبلغ قيمتها(٧) مليون دولار امريكي .. ووقفت مع الدرك في اقتحام اسمرا لأنها تثق في الدرق اكثر من حركات التحرير الإريترية العربية المسلحة)[٣] . وهنا كان واضحا أن الولايات المتحدة وإسرائيل لديهما حرص كبير على ألا يصبح البحر الأحمر بحيرة عربية .. وان استقلال إريتريا ورغم عدالة المطالب التي تنادى بها حركات التحرير الإريترية لن يتم ما لم تكن هنالك ضمانة على أن الغلبة فيه لغير العرب والمسلمين ويرى بعض المراقبين انه منذ ذلك الحين أولت الاستخبارات الأمريكية "CIA " والإسرائيلية " الموساد " أهمية لابعاد العرب والمسلمين عن الصدارة ومراكز القرار الفاعل في الجبهات الإريترية ، لذا شهدت المرحلة التالية تصفيات كبيرة ، ومتتالية للقيادات العربية المسلمة في تلك الجبهات .

---

[٣] المصدر السابق

(ولقد غرست نتائج النزاع في القرن الأفريقي في عقول كثيرين أن المنطقة سوف تشهد منافسة مستقبلية من جانب القوى العظمى ، فكانت الولايات المتحدة تنظر دائما للقرن الإفريقي باعتباره قريب من حقول البترول و طرق المرور في الشرق الأوسط)[1] لذلك كانت تولى عناية خاصة لعلاقاتها مع أديس أبابا .. وتبقى الباب مواربا تجاهها لم تغلقه كليا قط ، ولكن بعد إستقلال وإنهيار الإتحاد السوفيتي يرى كثيرون إن أهمية أثيوبيا قد إنخفضت حيث لم تعد محل تنافس دولي كما لم يعد لديها ساحل على البحر وتلقائيا (حذفت من قائمة الدول القريبة من حقول البترول في نظر المفكرين الجيوسياسين الغربيين)[2]

لكن لم تفقد أثيوبيا أهميتها للكنيسة الغربية كمساهم فاعل ذو دور حيوي متفرد في منع التمدد الإسلامي للقارة السمراء ... ويعلق تقرير "ليندون لاروش" و"ليندا دو هويو" على دفع النظام العالمي لأثيوبيا وتحريضها ضد السودان أبانه (في ديسمبر ١٩٩٦م أى قبل شهر واحد من غزوها للسودان قرر الماغون إعطائها خلال العامين

---

(١) فصلية الخارجية الإثيوبية – مصدر سابق .

(٢) المصدر السابق .

القادمين مبلغ ٥.٢ مليار دولار وهذا يعد مبلغا غير عادى لدولة إفريقية وهو يزيد بنصف مليار عما طالبت به أثيوبيا نفسها)[٣]

إريتريا :

جارة للسودان من الناحية الشرقية تتشارك معه في الإطلال على البحر الأحمر ، كانت إريتريا مستعمرة إيطالية ثم وضعت تحت الوصاية الإثيوبية وتغول عليها الإمبراطور هيلاسلاسي و ضمها لإثيوبيا و أعلنها إقليما ضمن الأقاليم الإثيوبية .. كان (مسلك الحكومة الإيطاليه منذ البداية مسلك التعاون والوفاق وبعد مفاوضات بين إنجلترا وإيطاليا تقابل اللورد كرومر مع وزير خارجية إيطاليا في روما واتفقا على تفويض حاكم السودان العام وزميله حاكم إريتريا لتعين الحدود ، وتم ذلك في وفاق ووئام)[٤] .يبلغ طول الحدود بين الدولتين ٢٢١٠ كيلو متر ، ووضعت الحدود بين الدولتين في ١٨/فبراير/١٩٠٣م وعرف الاتفاق ببرتوكول "تالبوت - مارتنيلي" (وبحكم الوصف القطاع الممتد من جبل

---

(٣) تقرير ورد ذكره - سابقا .

(٤) كتاب الحكم والإدارة في السودان -علي حسن عبد الله -ص ٨٧ - الطبعة الأولى - ١٩٨٦ -دار المستقبل - القاهرة .

أبو فعل إلى منحنى نهر ستيت المواجه لمصب خور رويان، وتم تحديد هذا القطاع في ملحق معاهدة ١٩٠٢/٥/١٥م بين إيطاليا وبريطانيا وأثيوبيا مع تعديل في خط التعيين حيث اصبح ينتهي عند المنحنى المواجه لمصب خور رويان بدلا من ملتقى خور أم حجر مع نهر ستيت ، وتم تحديد وتكشيف هذا القطاع بموجب وصف علامات الحدود الموقع عليه في أول فبراير ١٩١٦م بين السودان وإرتريا - ولم تعترف أثيوبيا بهذا التكشيف والتحديد إلى أن وقعت على الاتفاق السوداني / الاثيوبي في ١٨/فبراير/١٩٧٢م حيث اعترفت بالتحديدين)(*) .

ومنذ وقوعها تحت الوصاية الأثيوبية خاضت الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا P.L.F وجبهة التحرير الارتريه E.L.F نضالا مسلحا ضاريا .. وكان السودان هو سندها طوال تاريخ ذلك النضال الذي حاربه الغرب والولايات المتحدة خشية أن تصل القبائل العربية المسلحة المقاتلة للمحكم ،بالتالي يتحول البحر الأحمر لبحيرة عربية .. لذلك دعمت "هيلاسلاسي" ومن بعده الدرق .. وحينما إتضح أن مجريات الامور والأحداث متجهة نحو إستقلال إرتريا تمت تصفيات كبيرة للقيادات المسلمة والعربية وتولى زعامة النضال لأحل التحرير

(*) المصدر السابق .

خلفا للشهيد "عثمان صالح سبي" ، المسيحي الغامض " أسياسي أفورقي "..

في عام ١٩٩٢م دخلت قوات الثوار تحت الدعم والمساندة السودانية إلى اسمرا ، واضطرت إثيوبيا التي وصلت لحكمها الجبهة الشعبية للتقراي وبدعم سوداني أيضا ،إلى الاعتراف باستقلال إرتريا ..ولكن للشخصية الكاريزمية للرئيس الجديد أسياسي أفورقي الذي تملكه الشعور بضرورة خلق دور للدولة الوليدة وتحت الأغراء الأميركي والإسرائيلي الحريص على وجود دولة قوية نسبيا وخاضعة له في مدخل البحر الأحمر وسقف المحيط الهندي .. تحول أسياسي إلى مخلب للأطماع الغربية وتولى كبر العداء للسودان ، فإريتريا دولة صغيرة وضعيفة ذات موقع استراتيجي .. ويمكن أن تلعب دورا هاما للمصالح الأجنبية إن أحسن استغلال هذه العوامل .

وبالفعل حولها أفورقي لأكبر دولة مرتزقة لخدمة مصالح النظام العالمي الجديد ، وقطع علاقته مع السودان في العام ١٩٩٤م ثم بدأ بإفتعال الأزمات مع السودان بدءا بالمطالبة بإعادة ترسيم الحدود ، ورفض استقبال اللاجئين الإرتريين الراغبين بالعودة إلى وطنهم .

في ١٩٩٤م إتهم السودان بإيواء الجماعات الاسلامية المعارضة له .. وقطع علاقته بالخرطوم ثم فتح الأراضي الارترية

للمعارضة السودانية لتنطلق منها عملياتها المعادية للسودان ، فأنشأت معسكرات التدريب والاذاعة الموجهة .. وأسلمها سفارة السودان بإرتريا كمقر لمكاتبها وهي سابقة غير معهودة في العرف الدبلوماسي وتاريخ العلاقات الدولية .

عقدت المعارضة تحت رعاية أفورقي مؤتمرها الأول بأسمرا .. الذي توحدت فيه المعارضة الجنوبية والشمالية وكونت قيادة عسكرية مشتركة للتنسيق بقيادة "جون قرنق" وكافأته الحكومة الأمريكية بتوجيه المنظمات غير الحكومية لدعم إرتريا وذلك إبان زيارة أفورقي لأمريكا في ديسمبر ١٩٩٦م ،كما تكون جسر جوى لنقل الأسلحة والخبراء العسكريين من الموساد ووزارة الدفاع بين اسمرا وتل أبيب.

وبرغم أن إرتريا بالنسبة للولايات المتحدة غير فاعلة في مجابهة السودان .. حيث التعاطف الارتيرى الشعبي مع السودان ، وعدم القناعة لدى العديدين حتى المقاتلين منهم بان السودان يمثل خطرا عليهم حيث أن معظم الشعب كان لاجئا بالسودان أو لديهم من كان لاجئا به .. ويرى الأمريكيون أن فاعلية إرتريا تكمن في إثارة والقلاقل والضغط النفسي على حكومة الخرطوم بحيث تشعر دوما بالاستهداف في وتظل في حالة استعداد دائم ، كما أنها ولقربها من بعض المدن

السودانية الهامة فإن إرتـــــريا تصلح لكي تكـــون قاعدة للتسلل من وإلى السودان !!

ووصفت مجلة EIR افورقي بأنه (أحد أطفال دار الســــلام وصديق قديم لموسفيني ، وانه جعل إرتريا قاعدة لانطلاق عمليـــــات نائبة رئيس مجلس اللوردات البريطاني البارونة " كارولين كوكـــس " التي تتحول بلا انقطاع في المنطقة لتنظيم ما سمي بالمعارضة السياســـية لحكومة السودان وهي التجمع الوطني الديمقراطــــي)[1] ، وصـــرح افورقي لوسائل الإعلام قائلا : (نحن نعمل على إسقاط نظام حكـــم الجبهة الاسلامية في الخرطوم)[2] .

وسبق ذلك بتصريح صحفي له : (ان بلاده ويوغندا وأثيوبيا إتفقت على استراتيجية موحــــدة لإلغـــــاء ما اسمـــــاه (بـــالخطر الأصولي) القادم واضاف انه لم يبق سوى وضع الجوانب التكتيكيـــة لتنفيذ الاتفاق وكشف ان هنالك دولا ستسهم في تنفيذ ذلك المخطط دون الظهور مثل مصر التي تقدم الدعم لهذا المشـــــــــــروع)[3]* .

وبالفعل بدأ التحرك الموضوع لأفورقي في ينـــاير وفـــبراير ١٩٩٧م واحتل تحت اسم قوات المعارضة السودانية عـــددا مـــن المنـــاطق ،

---

(١) – مجلة EIR عدد ٤ أبريل ١٩٩٧ م

(٢) – أسياس أفورقي في تصريح لمحطة تلفزيون MBC – مارس ١٩٩٧ م

(٣) – أسياس أفورقي لقاء صحفي – صحيفة ذي هيرالد الوز مبقية ٤ ديسمبر ١٩٩٥م

وسرعان ما لبث أن أعلن أنه يقاتل فعليا ضد السودان في ندوه بأسمرا (أن جنودا إرتريون يقاتلون إلى جانب قوات المعارضة السودانية . وان القضاء على النظام في الخرطوم يمثل هدفا رئيسيا لحكومته لا يمكن الوصول إليه إلا بالقوة)*[4]

وأوضح أفورقي (أن قواتنا منيت بخسائر لكن هذه الخسائر مقبولة في معارك تهدف إلى إحلال السلام في المنطقة) [5]وقال (إننا نعمل من اجل التنمية هنا في إرتريا ، لكن إذا لم يكن هنالك استقرار أو سلام في المنطقة ، فلاشيء يمكن أن ينجح ، وإن القضاء على نظام الرئيس " البشير " هو أولوية لإريتريا وهذا لن يتم إلا بالقوة)*[6] ، ورفض " أسياسى أفورقي " الحوار مع الخرطوم حيث أكد (اننا نعمل وفق ثوابت لا مجال للتراجع عنها ، فكيف نتعامل مع نظام يرفضه الشعب السوداني ؟، وعلى النظام في الخرطوم ان يتصالح أولا مع الشعب السوداني قبل أى طرف آخر ، إرتريا أو غيرها ، وان علاقتنا مع الشعب السوداني علاقة قوية ، ولذلك لا خيار لنا إلا أن نوجد علاقات قوية وطيبة مع التجمع الوطني

---

(4) - مجلة العرب اللندنية نقلا عن وكالة فرانس بريس - ٢٥ أبريل ١٩٩٧ م

(5) - المصدر السابق

(6) - أسياس أفورقي - لقاء صحفي - صحيفة الشرق الأوسط - العدد ٦٦٦٢ - ٢٣ فبراير ١٩٩٧ م

الديمقراطي ، الممثل الشرعي للشعب السوداني والذي يمثل البديل الصحيح لهذا النظام)[1] .

وحرص أفورقي على تسويق نفسه ، أضافة للعب دور المناصر لشعب السودان وإسقاط النظام ، أيضا كمسيحي فاعل ، خادم للكنيسة ، حيث أوردت وثيقة تحصلت عليها بعض الهيئات المتخصصة في الشئون الإريترية ، وهي وثيقة من وثائق المديرية العامة للأمن الداخلي في لبنان تبث فيها عقد لقاء سرى بين سفير الفاتيكان في لبنان وقيادي بارز من الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا ، تعهد فيه الأخير بالعمل على القضاء على كل الاتجاهات الاسلامية والعربية داخل الثورة الإريترية ، وتبين الوثيقة أن الاجتماع عقد في ١٢/مارس/١٩٩٧م بغرض تدبير مساعدات مالية للجبهة)*[2] ، وقد عمل" أسياس" فعليا بعد وصوله للسلطة على تنصير مظاهر الحياة العامة في إريتريا ، كما عمل على تشريد وإقصاء المسلمين من المناصب والمواقع المؤثرة !! ولكن غالبية الشعب الإريتري مسلمة ، ولها وعي مقدر بدورها ولديها كذلك حركات مسلحة ومقاتلة ! فهل سيتمكن أفورقي من النجاح في مخططه !؟ التفوق الديمغرافي

---

(١) أسياس أفورقي لصحيفة المستقلة اللندنية – العدد ١٦٦ - ١٤ يوليو ١٩٩٧ م

(٢) صحيفة المستقلة اللندنية – العدد ١٦٦ – ١٤ يوليو ١٩٩٧م

المسلم هو ما يجعل أمريكا تتعامل معه بحذر وتعتبره مجرد أداة لا يعـول عليها في تغيير نظـام الحكم في الخرطوم ، ولا التأثير الفعلـي علـى أفريقيا ، لكن بوضعه الحالي يصلح للعب دور المرتـزق وأن يشـكل مصدر إزعاج وقلق للسودان ..]

الفصل الرابع

نموذج
الدّولة الشّــاذة

- دول المواجهة والدولة الشاذة
- مقـــامات الـزّعــامة
- الولايات المتحدة والسودان
(لعبة المصالح)

كتبت "اليزابيث ليــــاحن" (... تقــول التقــارير الإخبارية الراهنة أن السودان تم تمييزه كأمة هشة في إقليـــم هـــش ، ويناسب أن يكون مثالا لما يعرف بالدول الشاذة Roguestate الـــتي خرجت على القبول بفكرة زعامة الولايات المتحدة وأوربا)[1].

و لم تكن الولايات المتحدة لتغفر للسودان هذا الموقف فبعـد أن عملت على محاربة السودان بجيرانه عبر التحريض أطلقت على كل من يوغندا وأثيوبيا وإريتريا اسم " دول المواجهة " ... وخصصتـــها لخوض النزاع المسلح مع الخرطوم ، وكشفت صحيفـــة الواشـــنطن بوست الأمريكية النافذة أن هنالك تطورا نوعيا منذ العام ١٩٩٥م في التعامل الأمريكي تجاه السودان ، وتطورا نوعيا لدعم دول المواجهـة الثلاث ، حيث ذكرت الصحيفة (أن الولايـــات المتحـــدة تقـــدم مساعدات عسكرية لثلاث دول مجاورة للسودان لإضعـــاف النظـــام الإسلامي في الخرطوم)[2] ، وقالت نقلا عـــن مســئولين في الإدارة الأمـــريكية والكونغـــرس (أن تجهيزات عسكرية أمريكيـــة تبلـــغ قيمتها ٢٠ مليون دولار ، ستنقل إلى أثيوبيا ، إريتريا وأوغندا حيـــث

---

[1] مقال بعنوان : إحتواء الإسلام في السودان من صميم إهتمامات السياسة الأمريكية – Impact International مارس ١٩٩٧م

[2] الواشنطن بوسط – نوفمبر ١٩٩٦ م

، تعد مجموعات سودانية معارضه هجوما مشتركا للإطاحة بالحكومة في الخرطوم)[٣]. وأضافت نقلا عن هؤلاء المسئولين (أن التجهيزات الأمريكية هي أجهزة اتصال لاسلكي وبزات عسكرية وخيم ، وقالت مصادر في الكونغرس وفي وزارة الدفاع الأمريكية إن هذه المساعدات يمكن أن تضم في وقت لاحق بنادق وأسلحة أخرى)[٤] .. وقد اتى هذا الدعم بعد زيارة قام بها مستر " **دوتش** " المدير العام لوكالة الاستخبارات الأمريكية "CIA" بصورة سرية للمنطقة واستمرت ليومين قدر فيها ما هو مطلوب وما يجب أن تقوم به الدول الثلاث .

ويشير تقرير **الواشنطن بوست** الذي كتبه كبير المحررين David B-ottaway ، إلى عدد من المصادر تقول (أن ما قيمته ٢٠ مليون دولار من المعدات العسكرية قد تم ترتيبها للشحن في اتجاه أثيوبيا وإرتريا وأوغندا ، التي ستعمل سويا مع الغرب للإطاحة بحكومة الخرطوم) ، وعلق على هذا بقوله (إنها المرة الأولى بعد نهاية الحرب البارده التي تقوم فيها واشنطن على منح دعم عسكري لدول افريقيه تعلن صراحة عن نيتها في الإطاحة بحكومات أفريقية أخرى) .. وذكرت بعض المصادر (أن وكالة المخابرات الأمريكية CIA

---

[٣] الواشنطن بوسط - نوفمبر ١٩٩٦م

[٤] الواشنطن بوسط - نوفمبر ١٩٩٦

مع مجلس الأمن القومي ، هي الجهات التي تقف خلف القوى الدافعة لخيار الصرامة مع السودان ، وتنصح بان يتوجه اغلب الدعم ليد المتمرد جون قرنق زعيم الجيش الشعبي لتحرير السودان الذي تدعمه CIA والذي يخوض حربا أخري بالوكالة تهدف إلى إطلاق معارك قتالية تعتمد على القوى البشرية مثل تلك التي كلفت انغولا مليون قتيل)[1] .. والصدى الانغولي واضح في تصريح " أنطوني ليك " السابق .. وتصريح نافذ آخر في إدارة كلنتون رفض التصريح عن إسمه حين قال : (سياستنا تهدف إلى عزل وضغط واحتواء السودان حتى يعدل سلوكه)"[2] . والرسالة في التصريحين واضحة فهي ليس موجهة ضد السودان وحده فحسب وإنما هي رسالة عامة تشمل آخرين يتطلعون إلى الحرية والديمقراطية وحكم أنفسهم حسبما يعتقدون ويرون ، ولكن إن لم ترض أمريكا عن توجهات وتطلعات تلك القوى فستلقى نفس مصير السودان ... و كل من يعارض النظام العالمي الجديد بشكل تهديدا مباشرا للولايات المتحدة ويحق لها الدفاع عن أمنها ومصالحها في مواجهته ..

---

(1) – الواشنطن بوست – تقرير إحتواء الإسلام في السودان من صميم السياسة الأمريكية – مصدر سابق

(2) – المصدر السابق

تقـــــول " اليزابيث ليـــاحن " إن حرب انغولا تختلف عـــن حرب السودان (فالحرب في انغولا وفيتنام صارت سوداء في تـــاريخ الدبلوماسية الأمريكية ، لذا فقد عملت الجهات المهمة بالعملية الحاليـة مثل الوكالات الحكــومية الغــربية والمنظمات المحترفة في مجال الإغاثة (كالمنظمة النرويجية سالفة الذكر) ووسائل الإعلام بكل إتقان علـى توجيه الغرب ليقف إلى جانب مسألة حقـــوق الإنســـان في الحملـــة الموجهة ضد السودان ، اولا بنشر روايات عـــن "حـــرب عرقيـــــة واضطهاد للمرأة وعندما فشلت تلك الأمور في إثارة الرأي العام لجأت أجهزة الدعاية إلى توجيه قنبلتها السحرية ، وهي وجود اســـترقاق في السودان والآن فقد سربت الجهات ذات العلاقة بمنظمـــات العـــون ، والمستفيدة روايات حول الاتجار بالأسرى لوسائل الإعلام وكلما يتـــم تفنيد مزاعم تقرير تظهر عشرات التقارير الأخرى)[٣].

واستمرت الولايات المتحدة تعمل كـــالأخطبوط في كافـــة الاتجاهات ، فالإعلام مسخر والقتال دائر ، ودوما لديها مبرراتهـــــا لكل شئ ... فبعد تقرير الواشنطن بوست الشهير .. الذي لم تنفـــه الإدارة الأمريكية مما يعني ضمنا صحته ،احتجت الحكومة السودانية لدى الإدارة الأمريكية واعتبرته تصعيدا للحرب ضدها

---

[٣] - المصدر السابق

ردت واشنطن الحريصة دوما على خط رجعة في علاقتها مع الآخرين رعاية للمصالح الأمركية ، بأن مساعداتها ، مساعدات عسكرية أمنية كما ذكر " وليم كوهين " وزير الدفاع الأميركي (هدفها دعم الحلفاء) ، واكدت أنها ليست موجهة ضد الخرطوم أو أنها محاولة لإسقاط النظام ، ووفقا لبيان السفارة الأمريكية في الخرطوم فان (جهود السودان المستمرة لزعزعة الاستقرار في المنطقة أدت إلى قيام الولايات المتحدة بالتصديق على عون قيمته ١٥ مليون دولار من المعدات العسكرية غير المهلكة لأثيوبيا وإرتريا وأوغندا في عام ١٩٩٦م وسيحتوى هذا الدعم على أجهزة اتصال ، أحذية ، خيام حقائب وستقوم حكومة الولايات المتحدة بصيانة أربع طائرات من طراز C-١٣٠ التي نقلت لاثيوبيا من قبل ، إن المقصود من هذا الدعم هو مساعدة هذه الدول لحماية أراضيها من غارات المتمردين المدعومين من السودان ولقد تم التصديق على ٤,٧٥ مليون دولار من المعدات العسكرية غير المهلكة بمبلغ إضافي لعام ١٩٩٧ م)[1].

ثم تبين فيما بعد أن اليد الأمريكية هي التي تولت شراء ١٠٠ دبابة حديثة ومطورة من طراز T-٥٥ من جنوب

---

(1) – بيان السفارة الأمريكية – نشرة السفارة الأمريكية – مكتب الشئون الثقافية والإعلامية – ٢٣ يناير ١٩٩٧ م

أفـــــريقيا باسم أوغندا ، وهي ذات الدبابات الـــــتي شـــاركت في المعارك التي دارت في الجنوب والجنوب الشرقي مـــن الســـودان وفي شرقه كذلك ، عبر حدود ذات الدول الثلاث.

وبرغم وجود الدلائل الخبــرية والمصورة والأسرى وإفــادات الشهود التي أهمها شهادة مندوب الإذاعة البريطانية الذي أكد تـــورط تلك الدول المباشر في المعارك الممتدة بطول ٢٤٠٠ كلم ، إمتـــدادا من ولايتي البحر الأحمر وكسلا المجاورتان لإرتريا ، مرورا بولايـــات القضارف ، النيل الأزرق وأعالي النيل المتاخمة للحدود الأثيوبية إنتــهاء بالولايات المجاورة ليوغندا ..

إلا إن الإدارة الأمـــريكية رفضت كل تلك الدلائل والتقــارير وأصرت على (أن ادعاءات السودان بان هنالك تدخـــلا أجنبيـــا في الحرب الاهليه الدائرة الآن ، محاولة لصرف الأنظار عن ما هو أساســا أزمة سياسية داخلية)*[٢] ، في ذات الوقت صرح (روجر وينـــتر - Roger winter) المدير التنفيذى للجنة الأمريكية للاجئين - والصديـــق المقـــرب من الرئيس اليوغندى "يورى موسفيني" .. (أن الخرطـــوم ستسقط بحلول سبتمبر القادم أى ٩ / ١٩٩٧م ..) .." ووينـــتر"

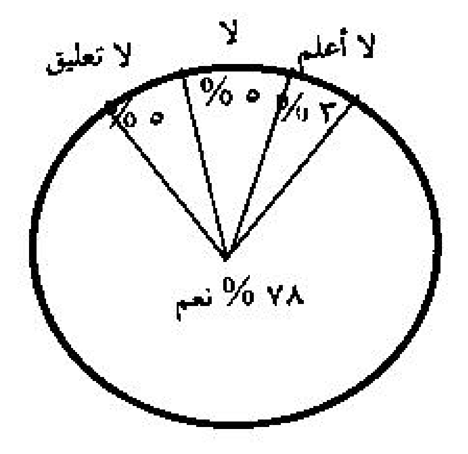
[٢] - بيان السفارة الأمريكية إبان الإعتداء اليوغندى - الأثيوبي والإرتري على الســودان يناير ١٩٩٧م

نفسه تنبأ سابقا مع آخرين أن الخرطوم ستسقط في ١٩٩٥م عندما غزاها يوغندا للمرة الأولى ، ثم في ديسمبر **١٩٩٦م** عندما هرب الصادق المهدى واعلن أنها ستسقط في يناير ١٩٩٧م آملا في انتفاضة شعبية ضخمة تعم البلاد تتوافق مع ذلك .

فبعد تلك التصريحات الأمريكية الرسمية وشبه الرسمية ، حق للسودان اعتبار الموقف الأمريكي تسترا على حلفائها ، وإنحيازا ضده ، وهو معنى به ليس في نظامه الحاكم ونهجه المتبع فحسب ، بل وفي وجوده كأمة وشعب ، وبات من الواضح تحميل الحكومة السودانية والشعب السوداني الولايات المتحدة وزر الحرب الدائرة في الجبهات المختلفة ، واعتبار أن الدول المنفذة ما هي إلا أدوات . ففي استطلاعات الرأي العام والتي أجراها مركز الدراسات الاستراتيجية انعكست هذه الروح ، فمن عينات عشوائية شملت كافة القطاعات الشعبية - الطلاب - العمال - الموظفون.. الخ .

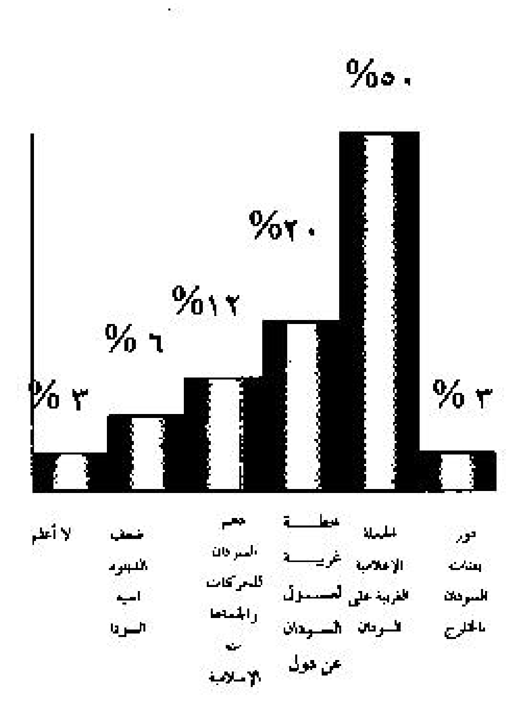
وراعى الاستطلاع المستويات الإجتماعية والمادية والجنس ، فلتتضح أن ٧٨ % يرون أن للولايات المتحدة دورا تصعيديا للأزمة والحرب لفرض ضغوط على السودان لاضعاف دوره في الحركة الإسلامية العالمية .

هل ترى أن لأمريكا دورا في تصعيد هذه الأزمـــة بغـــرض الضغط على السودان لإضعاف دوره في حركـــة الإســـلام



كما يرى آخرون أن الحملة الإعلامية الشرسة من قبـــل الولايـــات المتحدة والغرب ضد السودان كان لها الأثر في تردى علاقات السودان مع بعض دول الجوار ، وهؤلاء بلغت نسبتهم ٥٠ % .

أرى أن أهم سبب لتدهور العلاقات مع بعض دول الجوار :



مقامات الزعـــــامة :

ظل أهل السياسة في السودان والمتابعون للشأن الســـوداني لا يشكون من أن التصعيد الجاري على حدود السودان المختلفة وداخــل الولايات الجنوبية فيه .. يستهدف في المقــام الأول فصــل جنــوب السودان وإن تمكن من خلاله إسقاط نظام الحكم في الخرطوم فــهذا أفضل ..و يعني الأمر تحقيق جزء كبير من المخطط الأمريكي والغــربي القاضي بتكوين دولة كبرى متكاملة وهشة في ذات الوقت .. ففصــل جنوب السودان يعني قيام إحدى الدول الإفريقية الكبرى المقترحة فعليا وهي دولة أفريقيا الوسطي ومحورها يوغندا وتكــون الغلبــة فيــها لعرقيات محــــددة والنفوذ فيها للمسيحية حيث تصير حاجزا بــين الشمال المســلم العربي وبقية القارة الافريقية بواقع المسيحية المتقــدم والمسلمين الضعاف .

فالرئيس اليوغندي يوري موسفيني رغما عما يثار حوله إلا أنــه رجل طموح ، له تطلعاته وآماله التي يعمل باجتهاد لتحقيقها .. خاصة حلمه بإعادة مملكة يوغندا القديمة والتي بدأها فعلا بالســيطرة علــى رواندا وبورندي .. مهمته كما صرح اقتضى أن يضم لهـــا إريتريــا وأثيوبيا والسودان وزائير وتنــزانيا وكينيا .. وبالفعل علاقاته جيدة مع رئيسي إرتريا وأثيوبيا وتمكن من تغير نظام الحكم في زائير ويعمــل

الآن للتحول نحو كينيا ويثابر على التدخل في السودان ويعمل جاهدا على إرضاء الـــولايات المتحدة و إسرائيل بالسعي لإسقاط النظـــام الحاكم وتجزئة السودان ويعمل على تسويق نفسه كشرطي للمنطقـــة يحكم بالوكالة في ظل النظام العالمي وهكــــذا يحقــق طموحاتـــه التوسعية مستغلا الخوف الحضاري الأمركي وحرص واشنطن علـــى مصالحها .

وبذا توافر للدولة الناشئة القائد السياسي المجتهد والمـــدرب كما تقول إصدارة EIR والمحدد بنظرة عرقية ودينية تعتمد على كثافة عدديه نسبيه للتوتسي فى منطقة البحرات وقبائل التقراى فى الهضبـــة الإثيوبية وإرتريا .

كما أنها ستكون دولة غنية بالمعادن الثمينة بعد الدعم القـــوى الذي وفره موسفيني وكاجامي للوران كابيلا حتى تمكن من إزاحـــة الرئيس الزائيرى" موبوتو سيسكو "بعد حكم دام فيه ثلاثين عامـــا ويرفدها الإثيوبيون والإرتريون بالقوات والمنافذ البحرية وكينيا وتنزانيا بالموارد الطبيعية فقط تنقص هذه الدولة الطاقة التي يمكن تتوفر مـــن جنوب السودان خاصة بعد الاكتشافات البتروليـــة فيـــه وســـيكون الجنوبيين بتعدداتهم القبلية والضعف العام ثقافيا ومدنيا قابلين للإرهـــان والانقياد للتوتسي وقيادة الرئيس الأوغندى يورى موسفيني والجنـــوب

إضافة لدوره كمورد للطاقة سيعمل بعد إنفصاله مانعا مسيحيا أمـــام الاندياح الإسلامي فى إفريقيا .

وبذا ستكون التجربة الفعليـــة الأولى للنظام العالمي فى تغيـــير وتشكيل الوحدات السياسية أفريقيا ودوليا وبعد النجاح النســـبي فى وسط القارة ، فى ظني أن الأمر سيتواصل ويمتد لتغيير الأنظمة الحاكمة فى عدد من الدول الأفريقية المستهدفة خاصة الــــدول الفرانكفونيـــة كالسنغال ، غينيا .. ساحل العاج ...الخ ، في إطار الجهود الأمريكيـــة الساعية لإزاحة النفوذ الفرنسي المنافس عن القارة حيث تشكل فرنســـا بثقافتها وتاريخها وروحها المشبعة بأفكار الثورة الفرنســـية ، مصـــالح قائمة بذاتها تتباين رغباتها والمصالح الأمريكية ..

ونجـــاح النـــظام الدولي في تشكيل هذه الوحدة السياســـية (دولة أفريقيا الوسطى) يعني في المقام الأول انـــه إضافـــة لريادتهـــا ودلالتها فإنها تمثل أيضا حائط الصد الدفاعي الأول عـــن الحضـــارة الغربية التي تشعر بالاستهداف من قبل حضارات العالم الثالث خاصـــة الإسلام كما قال هنتجون ..

حيث تقوم النظرية على محاصرة الإسلام وبتر أطراف العـــالم الإسلامى وتذويبها فى مجتمعات أخرى .. وابراز النزاعـــات العرقيـــة والثقافية .. مما يقعد الأمة ويجعل الصراع الداخلي هما شاغلا لها عـــن

الالتفات للمستقبل أو البحث عن دور خارج نطاق كونها سوقا استهلاكية كبرى للكماليات والسلاح ومصدرا متقدما للمواد الخام والموارد اللازمة للصناعة ورفاه الغرب .

في سبيل أن تظل الولايات المتحدة هي القائدة العالمية وأن تحافظ على مظهر الأخت الكبرى الذي تلعبه عبر سياسات الترغيب التي تتبناها ... أحيانا ... ويغلب الطبع عليها في كثير من الأمر (فرغم حداثتها (عمرها ٢٢٠ عاما) فإنها تبحث في الانفراد بقيادة العالم حيث تلعب دور شرطي العالم وفي ذات الوقت هي القاضي والخصم)* .. فتمارس سياسة الضغط والترهيب ضد معارضيها والمخالفين لها في الرأي، وقيادة العالم لها التزاماتها الأدبية وأعباءها المادية .. ولكي تظل في موقع القيادة ينبغي لها أن تحافظ على تفوقها الاقتصادي القائم على تلك المواد الخام الرخيصة المستجلبة من العالم الثالث المفتقر ... وان تظل واعية لمصالحها راعية لها وذلك بالحفاظ على السلام والاستقرار في منابع المواد الخام تلك وذلك وفقا لما يخدم تلك المصالح ويدعم قيادتها الدولية ... وبمعنى آخر أن تظل الامور كما هي إلا إذا اقتضت المصالح الغربية والأمريكية أمرا آخر.

تسيطر على الولايات المتحدة عقده الخـــوف .. خـــوف أن تغيب عنها الشمس لتشرق في مقامات حضارية أخرى ألفت الشـــمس وتآلفت الشمس معها لآلاف السنين ،حتى هذا التـــاريخ الحضـــاري لدول العالم الثالث سعى الأمريكيون إلى التقليل من فائدتـــــه وأثـــره فالحضارة التي عرفوها لا تعني الإرث الإنساني بقيمة وآدابه وثقافتــه .. وانما تعني القوة ..

واليقين لديهم أن القوة وحدها هي حالبة الطمأنينة والأمـــــن والقاضية على الخوف وهذا يتناقض الفكر الإنســـاني الـــذي تقـــول شواهده التاريخية بان التراث الحضاري الإنساني انما تشاركت في صنعه حضارات شتى وثقافات متنوعة كان محصلتها هذا التطـــور والتمـــيز البشرى المتكاملة جوانبه .

وأن سنة الكون كانت تعاصر بعض تلك الحضارات رغـــــم تباينها .. وتعاقب بعضها البعض أحيانا ...

وكل حضارة كانت تعترف بحق الأخر في الوجود فلا تسـعى لإزالته إلا إذا تعارضت مصالحها وإياه ومسها منه الضرر ، فحينـــها تدافع كل عن وجودها وروحها وشواهد التاريخ منـــذ الآشـــوريين" وبختنصر " و"البابليين "و"الفراعنة" وغيرهم ما تزال حية نابضة ، فمـــا بال الغرب يبشر بتصادم الحضارات ويوطن لنفس الصراع والمواجهـــة

كي يعم .. ويعلن أن الإسلام بعدائيته التي يروجون لها – إفكا وبهتانا – يسعى لإبتلاع حضارة الغرب ذات الأصول المسيحية واليهودية كما يقول عنها "وليم بيتلز" الكاتب الأمريكي الرصين .

لما يرى فى الإسلام ندا يجب حصره وحربه !.. وليس ندا يستفاد منه وتستقوى به البشرية ... لتنعم بحياة أفضل توازن بين التفوق والتطور التكنولوجي والتقني بين الإرتواء الروحي ومعاني القيم ومذاق الإيمان الحلو والسؤال هو هل أنهيار الحضارة الغربية سيكون على يد المسلمين كما يقول مفكروهم ؟ خاصة د. صمويل هنتجون والذى توليه ونولى آراءه وكتاباته عناية خاصة ولدينا أسبابنا لذلك ، حيث إنه وعلى الرغم من التحفظات الأولية التى أبدتها الإدارة الأمريكية فى الأربعينات من هذا القرن تجاه مقترحات "جورج كينان " صاحب نظرية الاحتواء المزدوج ... إلا إنها فعليا تبنت آراءه وأفكاره التى نجحت عبرها فى خوض الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفيتي السابق حتى أقصته عن حلبة الزعامة الدولية .

والآن يصف الإعلام الأمريكي " صمويل هنتجون " بأنه لا يقل أهمية عن "كينان " وقد كان على عهد الرئيس كارتر فى النصف الأخير من السبعينات مسئولا عن التخطيط فى مجلس الأمن القومي الأمريكي !! والآن هو أستاذ بجامعة هارفارد ومدير معهد الدراسات

الاستراتيجية ، مدير لأكاديمية هارفارد للدراسات الدولية والإقليمية واحد مؤسسي دوريه (السياسية الخارجية) ولا يزال مشاركا فى تحريرها .. وفى ذات الوقت يتولى رئاسة الجمعية الأمريكيه للعلوم السياسية .

رحل بكل هذا الزخم الذى لم يتوفر" لكينان ".. وهذا التشعب في العلاقات وإمكانات التأثير على مراكز القرار وبطانة الحكم هل تلقى أفكاره عرض البحر ! أو يضرب بها عرض الحائط !! هذا ما لم يعتده الأمريكيون !! لقد أبدى هنتجون تشاؤمه حيال مستقبل العلاقات بين الغرب والإسلام . (فما دام الإسلام سيبقى إسلاما وليس هنالك شك فى ذلك ، ومادام الغرب سيبقى غربا سيظل الصراع قائما بينهما كما ظل قائما لأربعة عشرة قرنا *[1]) ، وقال بتحول الصراع الى مواجهة فى نهاية القرن العشرين لأسباب محددة برأيه (أولا الزيادة المستمرة والهائلة فى عدد المسلمين فى كل أقطار العالم ، ثانيا الصحوة الإسلامية والتمرد على السيطرة والثقافة القادمة من الغرب ، ثالثا زيادة النفوذ العسكري والثقافي للدول الغربية، رابعا سقوط الاتحاد السوفيتى ونهاية الشيوعية)*.[1]

---

[1] ١/ صمويل هنتجون – لقاء صحفى – مجلة المجلة اللندنيه – ابريل ١٩٩٧م

(١) ١ صمويل هنتجون : مجلة المجلة اللندنية – أبريل ١٩٩٧ م

. (إن الإسلام بكل طوائفه وأقسامه وفى مختلف الدول عبارة عن حضارة كاملة تشمل الدين والدنيا وكل مظاهر الحياة اليومية .. ولهذا قلت أن الإسلام ونظام الدول الغربية لن يلتقيا)[٢]، اليوم نشاهد بوادر سياسة احتواء مزدوج أخرى يمارسها الغرب وأمريكا كزعيمه له ضد الإسلام بتقسيمه لمعتدل وآخر متطرف وبحروب بالوكالة ضد الإسلام ، تمولها هي ، ويتولاها عنها بعض أبنائه ، وبغزو العالم الإسلامي بنمط الحياة الاستهلاكي .. وهو ضرب من السلوك الاقتصادي يؤدى لتثبيط الهمة عن الإنتاج والتحرر الاقتصادي ، ويعتبر هنري كسنجر[٣] ، أول من نادى به حينما قال مقولته الشهيرة عقب حرب أكتوبر – رمضان ١٩٧٣م .. (كل برميل نفط مقابل حبة قمح) وحول المقولة لنظرية ، عبر من خلالها عن أهدافه الرامية لجعل الدول الفاعلة فى العالم العربي مجرد أسواق للاستهلاك ، ودول مستضعفة حينما قال : (نحن شركاء طبيعيون ، ولسنا خصوما ، ولابد للبلدان المستهلكة من منفذ أمين الى النفط وبأسعار معتدلة .. وعلى البلدان المنتجة للنفط من أجل توظيف ثروتها

---

(٢) / المصدر السابق

(٣) / هنرى كسنجر : دبلوماسي وسياسي – يهودى الاصل – عمل وزير لخارجيه امريكا ويعتبر من اكثر الشخصيات تأثيرا فى تاريخ السياسة الخارجية الامريكيه ولا تزال عمليا مؤثر فيها عبر معهده الاستشاري الخاص.–

الجديدة والمكتسبة بفضل النفط أن تكون المشارك الرئيسي فى النظـــام المالي والاقتصادي العالمي .. كما يجب عليها كي تحول ثرواتها الجديدة إلى بضائع ، و أن تغدو من كبار المستوردين لمنتجاتنا)[٤] .

إضافة لنمط الاستهلاك كانت هنالك الإحاطـــة الإعلاميـــة المشيعة للثقافة الغربية وصورة الحياة الأمريكيـــة ، بإعتبارهـــا هـــرم الحضارات .. وأنها الأجدر بالاحتذاء إذ توفر الحرية وقواعد الانطـلاق لمواكبة العصر .. كما أنها الفاتحة والمكتشفة لطاقات وإمكانات الفـــرد وهى الراعية للإبداع .. وبالفعل تمكنت الولايات المتحدة بذلك مـــن جذب العقول والمواهب المسلمة إليها، وقدر عدد هـــذه الكفـــاءات المتفاة حسب آخر الإحصاءات بمائة ألف (١٠٠.٠٠٠) شخص ، ومن أمثلة هذا الإستقطاب المدروس أن إدارة الرئيس "ريجان" وضعت دراسة محصلتها أن المهندسين المحترفين فى العالم .. والذين يتلقون العـلم ٢٠٠٠ فى مراحل عمرية متجة هم حوالى مليون مـــهندس محـــترف حصة العالم الإسلامي والعـــربي فيـــها (٤٥٠٠٠٠) " أربعمائـــة وخمسون ألفا " ، وأوصت الدراسة بضرورة الإجتهاد فى اســتقطابهم للعمل بالولايات المتحدة ، ومن ثم الحيلولة بينهم وبين جذورهم وذلك

---

[٤] هنرى كسنجر – وزير الخارجية الأمريكى – خطاب أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢٩ سبتمبر ١٩٧٥ م

لضمان استفادة الولايات المتحدة من مواهبهم وإمكاناهم العقلية والفكرية .....

كما شنت حملة إعلامية عدائية واسعة لتشويه الإسلام تصوره بالهمجية والعدائية والظلم وتشكك فى نبي الرساله، وحملة الدعوة .. وذلك عبر كتابات بعض المحسوبين على الإسلام مثل الكاتب الهندي " سلمان رشدي " .. وهو يحمل الجنسية البريطانية .. وبعد تهديد المسلمين بقتله وإصدار "الإمام الخميني" لفتوى تهدر دمه خضع للحماية الرسمية البريطانية كما انتخب رئيسا لرابطة الكتاب الدولية .. وهنالك " تسليمه نسرين " البنغلاديشة .. وغيرهم آخرون .. هذا ما يبدوا من المخطط لحصر الإسلام وما خفي منه بلاشك اكبر مما يبدو ... ولكن أبرز هذا الخفي هو الدور الإسرائيلي اليهودي حيث ظلت إسرائيل هي صمام الأمان الأمريكي فى قلب العالم العربي والإسلامي والإبقاء على تفوقها النوعي هو أحد الأهداف الرئيسية لوزارة الدفاع الأمريكية ولقد وصف وزير الدفاع فى تعليقه على المساعدات الأمريكيه الأمنية الطائلة لإسرائيل (بأنها واحة الديمقراطية فى هذه المنطقة المضطربة ، وحليفة الولايات المتحدة منذ أمد طويل . ونحن ملتزمون بأمنها ورفاهها التزاما راسخا .) وتبلغ المساعدات الاميريكيه لإسرائيل سنويا اكثر ٧١ بليون دولار لا

تدخل فيها قروض الاستيطان البالغة ٩,٨ بليـــون دولار) وتمثـــل المســـاعدات الأمنـــية فيها ٩٠ %) [1] وهـــذا حسب العـــام المالي ١٩٩٧م .

وفي لقاء مع "بنيامين نتنياهو" رئيس الوزراء الإسرائيلي أكـد " جون شيليكا شفيلي" رئيس أركان القوات المسلحة الامريكيـــه (ان الولايات المتحدة تواصل العمل لتأمين تفوق نوعي للجيش الإســرائيلي على كافة جيوش العالم العربي) .

لقد قررت الولايات المتحدة إنتهاج سياسة شاملة لاحتواء الإسلام تستخدم الاقتصاد والإعلام وإسرائيل التي ترى أنه للحفاظ على أمنـــها ينبغي عليها ألا تسمح بقيام دولة أصولية اسلامية في محيطـــها العـــربي والإسلامي وهذا ما اورده شيمون بيريز [2] في كتابه عن السلام .

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه علينا مرة أخرى هل انهيـــار الولايات المتحدة والحضارة الغربية سيكون على يد المســـلمين كمـــا

---

(1) دراسة عن المساعدات الأمنية الأمريكية لإسرائيل ، وهل تحول السياسة دون المساس بها - ب . دونكان و ل . كلارك أستاذ العلاقات الدولية بالجامعة الأمريكية بواشنطن - نشرتها مجلة Middle east jurnal .

(2) شيمون بيريز : وزير الخارجية الاسرائيلي في حكومة رابين ، وزعيم السابق لحزب العمل الإسرائيلي ، فاز بجائزة نوبل للسلام مناصفة مع ياسر عرفات ، ويعتبر من مهندسي اتفاق أوسلو للسلام بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية .

يقـــــول المفكرين الغربيين أم أنها ستكون مثل روما تحمـــل بـــذور انهيارها ؟.. وهل انهيار الحضارة من ديمومتها يقوم على عامل القـــوة فقط أم أنها نتاج عوامل عدة القوة فيها بعض الحلقات المكونة وليست أبقاها ولا أقواها وإن كانت أظهرها ؟ .

والآن تحمل الولايات المتحدة جرثومة سقوطها نتاجا لتحللها الأخلاقي وهو ذات السبب الذى قضت به روما .. وغيرها .. وهـــو ما أعترف به الرئيس الأمريكى بيل كلنتون فى كتابه الذى أسماه (بين **الأمل والتاريخ**) حين تحدث عن إنجاب الأطفـــــال بلا زواج فقال (حين كنت يافعا .. كان الأطفال دون زواج أمرا نــــادرا يلحـــق بصاحبه العــــار ، وكان القليل من الآباء يتخلى تاركا مســـئولياته تجاه أولاده ..)[1]

ويعلق على الكثير من المظـــاهر الاجتماعيـــة ذات البعـــد الأخلاقي والتى أنـــدثرت بقوله (أما اليوم فهذا كله عند كثير مـــن الشباب مجرد صور بالأبيض والأسود يعرضها التلفزيون أحيانا ضمـــن برامجه)[2].

---

(1) نشرة السفارة الأمريكية

(2) / الرئيس بيل كلنتون – كتاب بين الأمل والتاريخ – ص ٧٢

وتحدث عن ظاهرة الأمهات المراهقات ليس كظاهرة أخلاقية فحسب ولكن كذلك انعكاساتها لاقتصادية على الخزانة الاتحادية التي تتولاهن بالمعونة الاجتماعية فيقول (ثمة حوالي مليون مراهقة تصبح حاملا كل عام .. وليس عجيبا أن ٧٠ % تقريبا من هؤلاء المراهقات غير متزوجات)[٣] ويصف الأمر بأنه (ليس مجرد حماقة بسيطة غالية ومكلفة ، إنه مدمر للأطفال وللأسر والمجتمع .. إنه عيب وإثم) .

ويسيطر العنف والجريمة على الساحة الاموريكيه حيث تقع جريمة كل أثنى عشر دقيقه حتى صارت تفتقر الى الأمن والطمأنينة كما وصفها الرئيس كلنتون (وخاصة بين المراهقين والشباب الذين ارتفعت الجرائم بينهم منذ عام ١٩٨٤م – ١٩٩٤م بنسبة ٨٢ % وهو عنف غالبا ما يكون منظما بإشراف العصابات)[٤] .. ويقول الرئيس الامريكى : (يعود جزء كبير من المشكلة إلى أن كثيرا جدا من هؤلاء الشباب الذين يدخلون طور المراهقة ، هم من الأطفال غير الشرعيين والذين نشأوا دون هداية وإرشاد الوالدين)[٥] ،كما أن أكبر أسواق المخدرات في

---

[٣] / الرئيس بيل كلنتون – كتاب بين الأمل والتاريخ – ص ٧٩

[٤] / الرئيس بيل كلنتون – كتاب بين الأمل والتاريخ – ص ٩٠

[٥] / الرئيس بيل كلنتون – كتاب بين الأمل والتاريخ – ص ٩٠

العالم هي السوق الأميريكيه وعن هذا يشير الرئيس كلنتون صراحة فى خطاب له ألقاه فى المكسيك إبان توقيع اتفاقيـــة تعـاون أمريكيـــة مكسيكية للحد من من المخدرات والهجرة غير المشروعة (أن تعـداد الولايات المتحدة هو أقل من ٥ % من ســـكان العـالم ولكنــهم يستهلكون أكثر من نصف معدلات المخدرات فى العالم) [٦].

إن أمريكا تضج بالمفارقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمجتمع فيها مفكك والإيمان فيها مهضوم ..

وتاريخيا نادرا جدا أن إنهارت حضارة ما نتيجة لضغط خارج وحسب ولكن يسقط الحضارات فقرها الروحي وضعف مجتمعــــها الأخلاقي بهذه المقاييس ننظر لأمريكا ونظن أن البغـــض والكراهيـــة لأمريكا والتي نتجت عن سياسات الضغط والترهيب التي مارســـتها ضد الضعفاء وأهل الآراء من مخالفيها فى العالم ستكون أحد مسببات انهيارها .. فلقد بعد الظالمون ولوحظ سرعة انحدارهم بعد العلو ..

فما يضير هذه الدولة العظمى أن تعاملت مع الآخرين مـــن منظور الاحترام وبمعيار الحق وبداية العدل .. هذا مـــا يليـــق بمقـــام الزعامة ومنصة القيادة .. فالعالم يسع الكثيرين .. السودان يعلم ضعفه المادي ولكن يوقن أهله والقائمون على الامور فيه أهم جـــزء مـــن

---

(٦) /خطاب الرئيس بيل كلنتون –نيو مكسيكو – المكســيك – ٧ مايو ١٩٩٧ م

حضارة بدأت تصحو من غفوتها وأن لهم الحـــق فى الإدلاء بـــالرأي والمشاركة فى صنع ما فيه خير لهذه الإنسانية وأنه كما جعلت أمريكـــا من نفسها حاميه للمسيحية نتيجة لما أسمـــاه الكونغـــرس باضطـــهاد المسيحيين فى العالم، وكما صرح السناتور " جو زيف ليبرمان" أنه قرأ رسالة ذات حجة مقنعة تؤكد أن (النصارى مضطهدون في القـــرن العشرين أكثر من أي من القرون الســـابقة) *[1] .. وعلـــى هـــذا الأســـاس أصـــدرت الخارجية الأمريكية دراسة عـــن أحـــوال المسيحيين فى العالم ضمن ٧٨دولة . وهاجمت فيه (كـــل دولـــة لا تعطى المبشرين المسيحيين الحق الكامل فى ممارسة عملهم)[2] .

ثم أصدر الكونغرس الأمريكي مشروع القرار ١٦٨٥م الذي يدعو لتأسيس مكتب حكومي لمراقبة الاضطهاد الديني فى العـــالم .. وسيكون له الصلاحية دون الرجوع للكونغـــرس بـــإعلان المقاطعـــة الاقتصادية الكاملة لأي دولة فى العالم يرى أنها إضطهدت الحرية الدينية خاصة للمسيحيين ..

فكما أعطت لنفسها حق الوصاية والدفاع عن المسيحية فلـــم لا تعطى الآخرين حق أن نحترم معتقداتهم وأديانهم وأن مـــن حقـــهم

---

[1] صحيفة الشرق الأوسط

[2] المصدر السابق

الدفاع عنها أيضا .. وتتعامل معهم وفقا لها وخـــاصة المســلمين فكما قال "هنتجون" أن نمط الإسلام فى الحياة ونهج الحيـــاة الغربيــة متباينان جـــدا .. ولكن هـــذا التباين لا يعـــنى العــداء .. ولا الصراع !! كما نظن نحن ! ....

لم لا تتخلى الولايات المتحدة عن نهج الوصاية على الآخرين والحجر على سلوكهم ؟!... وهذا ما جعل أقرب أصدقائــــها اليــها يشتكون . فمن قلب أوربا أحتج الفرنسيون والألمان وبالصوت العالي وهو الشيء الذى دفع هذين البلدين للجوء لروسيا ومحاولـــة خلــق تحالف معها .. وهو ذات السلوك الذى دفع وزير التجارة الخارجيــة الهولندي "أنيك فان دوك ويل " ليقول (أنه ينبغى على أمريكا الكف عن إصدار الأوامر للأصدقاء .. فخلال الخمسين سنه الماضية أقـامت أمريكا وأوربا شراكة سياسية وإقتصادية لا نظير لها فى التاريخ وقــد أدت التجارة والاستثمارات عبر الأطلسي الى مكاسب جمـــة لكــلا القارتين .. لكن فى الأونة الأخيرة بدأ القلق يساورنا فى أوربــا مـــن التزام أمريكا بعـــلاقاتها الــــوثيقة معنا ، فمـــا هو الخطأ الـــذى حدث ؟!)[٢] ، ثم تطرق الوزير الهولندى لقانون داماتو بخصـــوص

[٢] أنيك فان دوك – وزير التجارة الخارجية الهولندى – مقال بصحيفة الواشنطن بوست ١٠ أغسطس ١٩٩٧ م

إستثمارات الشركات غير الامريكيه في ليبيا وإيران .... فعلق عليه قائلا (لا شك ان هذا الطراز من التشريع الذي يشمل شركات تتمتع بجنسية دول أخرى ذات سيادة هو تشريع مرفوض من قبل الأوربيين والديمقراطيات الأخرى فبدل ان تترك آمريك لبرلمانات حلفائها أن تصدر قوانينها الخاصة بمواطنيها وشركاتها يحاول الكونغرس الأميركى أن يفرض سياساته الفاشلة بالقوة)*[1] ..

لقد بدأ الأصدقاء يتذمرون وهولندا ليست الأخيرة ولكن تلتها فرنسا التي أضطرت لتذكير الولايات المتحدة بأنها دولة ذات سيادة لا يسرى على شركاتها القانون الأمريكي الشهير بقانون داماتو وهذا في إطار تعليق رئيس الوزراء الفرنسي " ليونيل جوسيان " على إحتجاج الولايات المتحدة على صفقة شركه توتال الشهيرة مع أيران والتي قيمتها اكثر ملياري دولار أميركي ..

الولايات المتحدة والسودان ... لعبة المصالح :

لقد تميزت سياسة الولايات المتحدة تجاه السودان بالازدواجية وعدم الوضوح وقد حرصت دوما على ألا تخسر الحكومة الحاليه كليا وأن كانت تعمل على الإطاحة بها سرياً وهذا حفاظا على مصالحها

---

[1] /أنيك فان دوك – وزير التجارة الخارجية الهولندي – مقال بصحيفة الواشنطن بوست ١٠ أغسطس ١٩٩٧ م

كما أشرنا سابقا ..وشاهدنا هنا قانون داماتو سابق الذكر حيث صدر ضد الدول التي تحويها اللائحة الأمريكية وتعتبرها إرهابية أو راعية للإرهاب ، خاصة إيران التي كانت سببا أساسيا لإصدار القانون .. وبالتالي تمنع الإدارة الأمريكية التعامل معها ، ولكن فوجئ المراقبون باستثناء السودان .. والذى برره المتحدث بإسم الحكومة الامريكيه بأنه لم يثبت ضده أنه يدعم الإرهاب وإن كان يأوى بعض الجماعات .. ثم تبين أن المصالح الاقتصادية الأمريكية كانت هي السبب .

فبعد الاستكشافات البترولية المقدرة سعت شركة " أويل أو كسدنتال " الامريكية مع شركة " آراكيس" الكندية وشركات دولية أخرى للعمل في مجال التنقيب عن البترول السوداني خلفا لشركة " شيفرون" الأمريكية والتي أنهت الحكومة السودانية تعاقدها معها في النصف الأول من التسعينات ، إذا وتحت ضغط المصلحة الاقتصادية أبعد السودان عن تطبيق قانون داماتو "..

ولكن رفضت حكومة السودان قبول عطاء الشركة الأمريكية وهو ما أغضب الإدارة الأمريكية و واعتبرته أضرارا بالمصالح الاقتصادية الأمريكية وحربا موجهة لأمريكا نفسها ... ويعزو

مراقبون ذو خبرة هجوم دول المواجهة فى أوائل عام ١٩٩٧م علـــى السودان أنه رد فعل أمريكي على القرار السوداني ..

ثم كان تضارب الأراء مرة أخرى على وضع السودان ضمـــن لائحة العقوبات الاقتصادية والذى أتضح أنه سيضر بشركات الأدويـــة والتجميل وبعض الصناعات الغذائية والمشروبات .. وبعض المنتجـــات الأخرى التي يدخل الصمغ العربي فى تكوينها .. والشركات الأمريكيه تستورد ٥٠ % من الإنتاج السوداني من مساحة الصمغ العربي الذي يحتكر السودان السوق العالمي له بإنتاجه ٨٠ % من الإنتاج العالمي .

وفرض عقوبات إقتصادية على السودان بصورة شاملة يدخـــل هذه السلعة الى السوق السوداء وبالتالي ستجد الشركات الأمريكيـــة نفسها مضطرة الى شراء ذات الإنتاج و فعليا سيكون ذا قيمة مضاعفة ..وهنا أيضا ستضطر الحكومة الامريكيه فى الغالب للتحايل على قانون داماتو مرة أخرى .

كما نلاحظت هذه الازدواجية فى غير قانون داماتو حيـــث التصريحات المتضاربة للمسئولين الامريكين تجاه السودان بـــين التي تصفه بالتعاون والتحسن فى مجالات حقوق الإنسان ، وحرب الجنوب خاصة بعد توقيع إتفاقية الخرطوم للسلام التي نص فيها على إســـتثناء الجنوب من تطبيق الشريعة للمـــرة الثانية حيث أكد هذا الاســـتثناء

من قبل في خطاب رئيس الجمهورية في الأول من ينـــاير /١٩٩١م وقبلئذ في مقررات مؤتمر الحوار الوطني ... كما نصت الاتفاقية علـــى حق تقرير المصير لجنوب السودان بعد أربع سنوات انتقالية .. كذلـــك يثمن هؤلاء الإيجابيون تجاه الســـــودان ومن باب المصــــداقيـــة والموضوعية قبـــول السودان للتفاوض تحت مظلة الإيقـــاد وقبولـــه لاتفاق المبـــادئ المـــــوقع في نـــيروبي ١٩٩٤م كمبـــدأ للتفـــاوض غير ملزم للحكومة .

وهؤلاء العصبة من الفاعلين في الإدارة يرون أنه من الضرورة والحكمة النظر بموضوعية لإنجازات وسلوك الإدارة الســــودانية ، ثم الحفاظ على مصداقية الولايات المتحدة والتعامل معـــها .. وذلـــك حرصا منهم على الا يفسر إستمرار الموقف السلبي الأمريكـــي تجـــاه السودان بأنه لاسباب سياسية في مقدمتها حرصه على الاســـتقلالية وتطبيقه للشريعة الإسلامية .. وفي هذا خروج على النظـــام العـــالمي حسب المفاهيم الأمريكية وإن كان الموقف الأمريكي نفسه يتعـــارض مع الشعارات التي يرفع لواءها ذات النظام الدولي وهو مـــا يفقـــد واشنطن مصداقيتها واحترامها بوصفها قائدة وزعيمة للنظام العالمي .. وهذا عين ما يخشاه العقلاء مع العلم ان هناك قطاعـــا مقـــدرا مـــن

المثقفين الأمريكيين لايرون مبررا لسياسات حكومتهم تجاه السودان ولا يرون فى السودان خطرا يهدد امن الولايات المتحدة .

من ناحية ثانية تقف مجموعة أخرى وهى أيضا مؤثرة فى الإدارة الأمريكية ومتأثرة أو خاضعة للوبي اليهودي وسطوة اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة المعروفة إختصارا باسم (Aipac) والتى لاترى فى السودان الا ذلك الخطر الذي ينبغي إحتنائه ، وذاك العدو الذي يجب القضاء عليه ، وهذا الجناح النافذ فى السياسة الخارجية الامريكيه لايرى للحكومة فى السودان إنجازا ولا نجاحا ولا عدالة طالما ظلت مفارقة لنهج ورأى واشنطن وهو جناح يحمس الأصوات الداعية لإسقاط النظام فى الخرطوم ويفعلها مثل البارونة كارولين كوكس وغيرها من غلاة المعادين للسودان ويتولى دعمهم أحيانا عبر تنظيم الندوات وجلسات الاستماع فى الكونغرس الأمريكي .. ومن أقطاب هذا الجناح السيناتور فرانك وولف ووزير الدفاع هنرى كوهين مستشار الأمن القومى ، انطونى ليك ووزيرة الخارجية مادلين اولبرايت وغيرهم ...

ولكن تعلم هذه المجموعة المتشددة تجاه نظام الحكم فى الخرطوم كما الإدارة الأمريكية ، أنه لإسقاط حكومة الخرطوم أو غيرها من الحكومات من قبل الولايات المتحدة ينبغي إن تتوافر معطيات محددة :

أولاً : لابد من سبب معقول ومقبول للقيام بذلك أمام الرأي العام الأمريكي والعالمي وفى حالة السودان كانت التهمة الأولى هى : " إسقاط الحكومة الديمقراطية المنتخبة والتى أبطلها السودان عندما تحولت الحكومة فيه من وضع الشرعية الثورية المعتمدة على القوة العسكرية الناتجة عن استيلاء الجيش وبالقوة على السلطة ، حيث أقيمت على الشرعية الدستورية القائمة على الانتخابات الشعبية الحرة والمباشرة لرأس الدولة ونواب البرلمان وهو ذات النظام الذى يُسَيِّر الحياة السياسية فى الولايات المتحدة .

وهنا تحتم البحث عن حُجَّة بديلة ، فعمُد الى إتهام السودان بالإرهاب وتدويل ذلك لتتدخل الأمم المتحدة تحت ذريعة محاولة إغتيال الرئيس المصري وتعلن أن السودان متعاون مع الإرهاب . وبالفعل وضع فى القائمة السوداء الأمريكية .

ولكن أُضطرت ذات الإدارة الامريكيه لتعديل الاتهام للسودان بأنه ليس راعياً للإرهاب ، وإنما يأوى إرهابيين طالبته بطردهم ، وأعلنت عدم ثبوت الاتهام الموجه له بأنه يضم معسكرات للتدريب ، هذا التراجع يعزى للضغوطات المصلحية للولايات المتحدة حيث (أن مصالح الولايات المتحدة مقدمة على كل

الأمور) كما صـــرحت بذلك مادلين أولبرايت وزيرة الخارجيـــة الامريكية فى حديث سابقٍ لها .

فمصالح الشـــركات الأمريكية الـــراغبة فى الاستثمار فى مـــجالات البترول مثل " أويل أو كسدنتال " وغيرهـــا ومصـــالح شركات المشروبات والأغذية والأدوية وغيرها والمستفيدة من القطاع الزراعي السوداني كلها تحتم على الولايات المتحدة عـــدم تصنيـــف السودان بصورة صارخة بأنه دولة إرهابية ..

وذات التهمة الموجهة للسودان بالإرهاب نفتها عنه دوله تعـد صديقة للولايات المتحدة مثل الجمهورية الفرنسية والتي صرح بعـــض المسوولون فيها لصحيفة التايمز اللندنية في عام ١٩٩٥ أن الولايـــات المتحدة لم تقدم لهم ادلّة تثبت فيها على السودان ما يجعلها أي فرنســـا تعتبره دولة إرهابية . وهم دون غيرهم كانت لهم تجربة جيـــدة مـــع السودان الذي أسلمهم الإرهابي العالمي **"كارلوس"** المطلوب لـــدى العدالة الفرنسية . واخيراً وبعد إنتفاء الســـبب الأول وتعـــثر إقنـــاع الآخرين بالثاني بل وحتى عدم البت فيه بصورة قاطعة حرصـــاً علـــى المصلحة الأمريكية كان لابد من وجود سبب قوي فبرزت حينئذٍ تهمة ممارسة الإضطهاد الديني وإضطهاد الاقليات وممارسة الرق ..

وتخصصت " كارولين كوكس " فى تسويق هذا الاتهام وردّ عليها الكثيرون منهم "د. ديفيد هويل " ، " د. شــــون فــــوب "، " اللورد ماكنير" وغيرهم .. وبدأ واضحاً لعدد مقدّر أن ما تســــميه البارونة البريطانية والإعلام الأمريكي رقاً إنما هو حالات الأســـــر أو الاختفاء الناتجة عن الحرب فى جنوب السودان أو بين القبائل خاصــة فى منـــاطق التماس ، كما أن عديد من الحالات التى أوردتها منظمتها (منظمة التضـــــامن المسيـــــحي) والتى تضم الى جانبها عدداً من أعضـــــاء مجلس الشيوخ والنواب الأمريكيين) .. قد وقعت قبـــل عام ١٩٨٩م أو فى بداياته وحينئذٍ لم تكـــــن الحكـــــومة الحالية موجودة بل كانت تحكم الأحزاب ويتولى الرئاسة السيد/ الصـــــادق المهدى زعيم حزب الأمة السوداني .. وأخر رئيس لحكومة شـــرعية كما تطلق عليه البارونة التى تسانده اليوم كما ان عدداً أكــــبر مـــن القضايا التي أوردها تقرير المنظمة وحدّدت مواقعها هي فى المناطق التى تسيطر عليها الحركة الشعبية لتحرير السودان والجيش الشعبي لتحرير السودان (S.P.L.A / S.P.L.M) والتابعين لحليفهما جون قرنق .

وبخصوص الاضطهاد الديني وهضم حقوق الاقليات أوردت الولايات المتحدة فى ذات القائمة العربية السعودية ومصـــر – وهـــم حلفاء لها .. ولكن يبدو أنها ستكون الحجة الجديدة التى ســــتتداولها

الإدارة الامريكيه لفترة قادمة . فى حين أن إتفاقية الخرطـــوم للســـلام وإستثناء الجنوب من أحكام الشريعة الإسلامية ، ومشاركة المسيحيين فى البرلمان وأجهزة ومؤسسات الحكم التنفيذية وغيرها من مظـــاهر الحياة الاجتماعية فى السودان كفيلة بنقض هذا الإتهام .

ثانياً : لإسقاط النظام الحاكم فى الخــــرطوم مـــن قبـل الولايات المتحدة أو بدعم منها ينبغي أن يكون هناك بديـــل واضـــح ومحدد للحكومة الحالية ... والتى رغم الآراء المعارضة لها الا أن الجميع بما فيهم الولايات المتحدة يعلمون أنها أفضل أداءً فى مجال إدارة الدولـة من الحكـــــومات الحــــزبية السابقة لها والتى عزى رئيس أخراهـــا السيد/ الصـــــادق المهـــدى ضعفها الى تفشي الجـــهل والأميــة والصراع السياسي ..

والبديل المتاح أمام الإدارة الامريكيه هو التجمـــــع الوطـــنى الديمقراطي والذي يتكون من المعارضة الشمالية المكونة من الأحـزاب والحركة الشعبية لتحرير السودان بقيادة جون قرنق .. وهو تحـــــالف وصفه بعض السياسيون الأمريكيون (بالحلف غير المقدس بين قـــوى شمالية مسلمة والأخرى متمردة مكونة من مسيحيين ولا دينيين مـــن الجنوب) وعند النظر لهذا التحالف كبديل للحكومة نلاحظ شـــعوراً عاماً لـــدى الأمريكيين بعدم الثقة فى الجماعات التى تدعمها مـــن

أثيوبيا وإرتريا .. وشكاً كبيراً في مقدرتها على الإطاحة بالحكومة السودانية .. فهي أحياناً تراهن على جون قرنق رغم أنه قد فقد مصداقيته لديها في مواقف كثيرة وهنالك يقين أنه لن يخدم خط واشنطن بصورة جيدة إن وصل للحكم ... ويقين متمكن كذلك لدى واشنطن أنه وإن دخل الخرطوم فلن يحكم السودان كما تقول " ليندا دو هويو " في تقريرها سالف الذكر (لن يستطيع حكم السودان لخمس دقائق ...) فمعطيات المعركة داخل الخرطوم وفي شمال السودان تختلف كثيراً عنها في الجنوب ..

كما أن الإدارة الامريكية أعلنت ومنذ البدايات الأولى لعام **١٩٨٩**م عدم ثقتها في الحكومة الحزبية وأتهمتها بالفساد ضمنياً حينما أوقفت المعونات والمساعدات عن السودان ، وعللت ذلك حينها بأنها لا تثق في حسن استغلال الحكومة للمساعدات الامريكية ، ولا مقدرتها على الاستفادة منها .

والعنصر الثالث في هذا الحلف هو الحزب الشيوعي السوداني وبقايا العسكريين السابقين في الجيش السوداني حيث هم قليلو العدد .. وفي بنيانهم العسكري وتجربتهم هشاشة تحتم عليها عدم المراهنة عليهم .

فالبديل للنظام الموجود الآن عسير .. وإن المعادلـــة الملائمــة للمصالح الاقتصادية الامريكيه تقول أنها تحتاج لحكومة قوية تحافظ على الاستقرار والأمن فى السودان واستقرار البحر الأحمر حيث شبه الجزيرة العربية الغنية بمنابع النفط ومصر الحليف الإستراتيجي رغم كل ما يقال عن تضاؤل أهمية مصر بعد عملية السلام وإتفاق أوسلو .. كذلــــك ضمان أمن البحر الأحمر حيث طرق المرور الدولية ، وهذا لا يمنعنا من القول أن السياسة الخارجية الأمــــريكية تحت قيادة مادلين أولــــبرايت بنهجها السطحي ، والاستعراضي ، قابلة للتغير والإتيان بالمفاجآت ، فبرغم كل الموازنات الدقيقة ، ومنطق العقل ، فإنها قد تقـــرر فجــأة المـــراهنة على شتات المعارضة ، والتورط في حرب مباشـــرة ضـــد السودان ، فواشنطن ترى أن السودان أكثر النماذج قابليةً ليكون مثــلاً وعظة للدول المعارضة لها ، وهو يحمل مـــن العوامــــل مايجعلــــها على الثقة من نجـــاح مخططاتها ضـــــده ، بعكـــس بقيــة الــــدول المعـــارضة لها وذلك للآتي :

١ — تصــــف الولايات المتحدة النظام فى السودان بالضعف ، وعدم الإستقرار ، وهو ما لا تعانى منه إيران أو العراق مثلاً .

٢ - حداثة القيادات السودانية فى الحكم .

٣ – وجود معارضة مسلحة قديمة تستمد سندها من تحالفات طائفية ، وعنصرية ولها عناصرها داخل السودان .

٤ – تقيم واشنطن علاقة السـودان بدول الجـوار الإفريقي والعربي المحيطة به ، وترى أن نظام الخرطوم يفتقد للـدعم والسند ، وأنها نجحت في عـزله عن عمقه العـربي ، والإفـريقي ، ومن ثم فإن حـدوث تدخل من قبلها لـن يجابه بغضب حقيقي .

. لا يسعنا تعليقا على السياسة الأمريكية المزدوجة المعايير تجـاه السودان الا أن نقول أن من الخير للولايات المتحدة وأفريقيا والعـالم العربي أن يظل السودان دوله موحدة مستقرة .. من أن يتحـول الى لبنان آخر إذ عندها ستكون بداية البلقنة لكل المنطقـة فالمسـلمون والإسلاميون تخصيصا لن يقبلوا بضرهم وإجهاض مشروعهم الأمل في دولة حرة عاملة بالدين ناشرة للخير ثم يقفون مكتوفي الأيدي وحينها ستضرر المصالح الأمريكية .. بفعلهـم وبسبب النزاع الذي سينشـب من عدم الاستقرار السوداني ، فعلى الولايات المتحدة أن تثق أن مـن مصلحة السودان كما هو لها التعاون من أجل الاستفادة من ثـروات ومكونات أرضه ... وأن يتطور ويترقى في مجالات الحداثة والعلـوم فهذا يعني ترسيخ السلام والاستقرار وإن التعاون في إطـار التقديـر

المتبادل واحترام السيادة والقانون والثقافة والعقيدة المكونة لكل منهما هو ما فيه الخير لكل الدولتين ...

وأن هذا هو الأساس في كل علاقة بين الدول المختلفة ثنائية كانت أو جماعية .. وأما الإسلام كحضارة فهو يضيف ويبني كما أضاف وبنى دائما لأجل صالح الإنسانية جمعاء .. وهذا في إطار ﴿ لكم دين كم ولي دين . ﴾ [1] ، وهو لا يعادى المسيحية ولا اليهودية ، ولكنه رسالة خاتمة أتت مكملة للرسالتين السابقتين لها وهو يحث إتباعه على التعامل مع أتباع المسيحية واليهودية وبصفتهم أهل الكتاب ﴿ **اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتو الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، أذا أتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ [2] ، ومن الخير للإنسانية والوجود البشرى ،ليبقى ويعمّر أن تتعاون الحضارات جميعاً

---

[1] الأية (٧) سورة الكافرون

[2] الأية (٥) من سورة المائدة

كما كان سابقاً ، وأن تتعايش الأديان فيما بينها وتتعامل ... حتى لا تتكرر الحروب الصليبية مرة أخرى .. ويعم الخراب فى كلا الدارين .

أخيراً نوقن كـــأهل لهذه الرسالة الخاتمة بقـــوله تعـــالى في ﴿ إنا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون ﴾ [٣] وإنّ مسيرة الإسلام لـــن يوقفها كيد من يكيد لهـــا ... ومـــا نـــازع أحـــد الله فى ملكـــه إلا قُصم .. و ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم الا نعبد الإ الله ولانشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمونٌ ﴾ [٤].

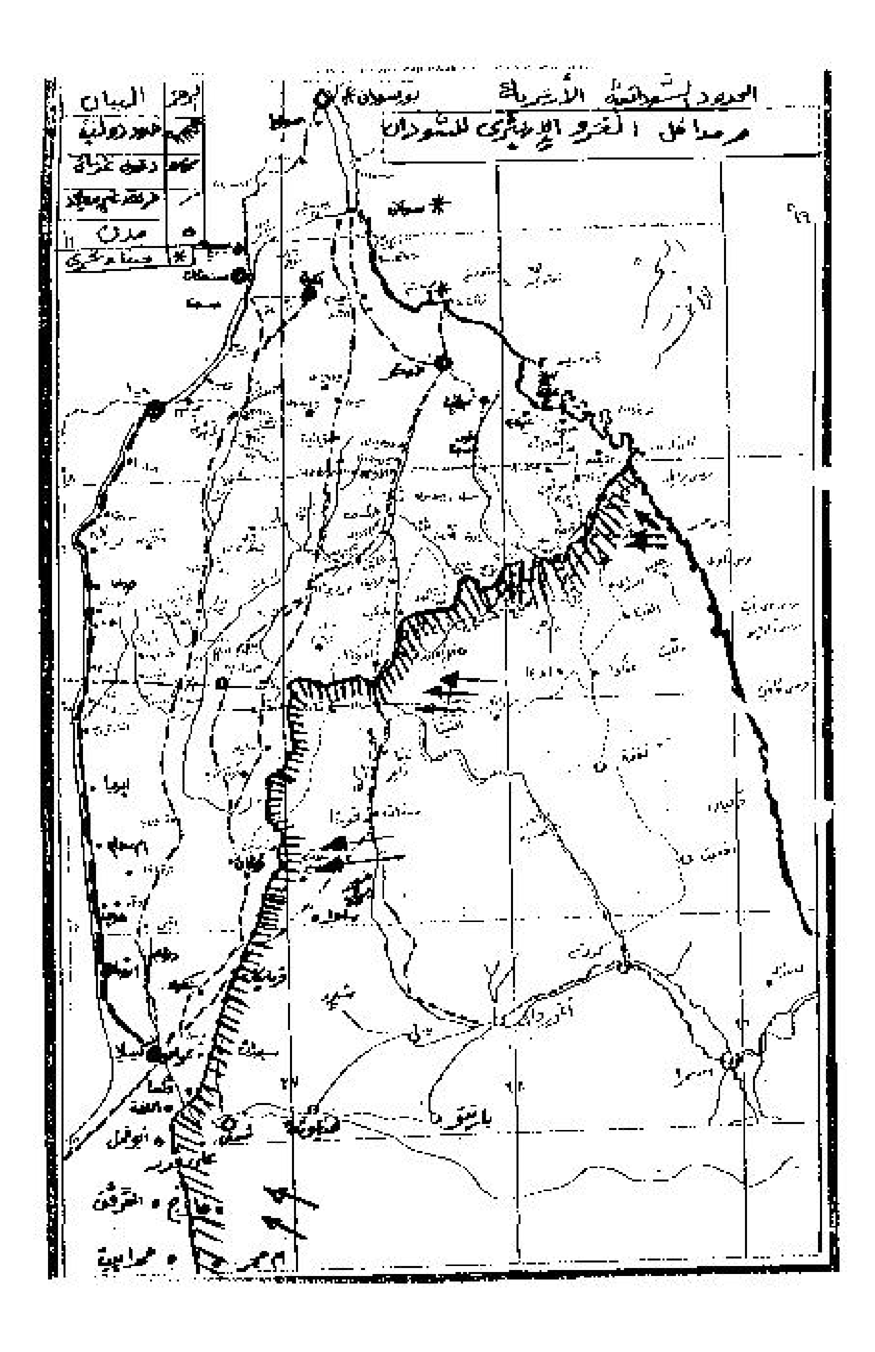
---

[٣] الآية (٩) من سورة الحجر

[٤] الآية (٦٤) من سورة آل عمران

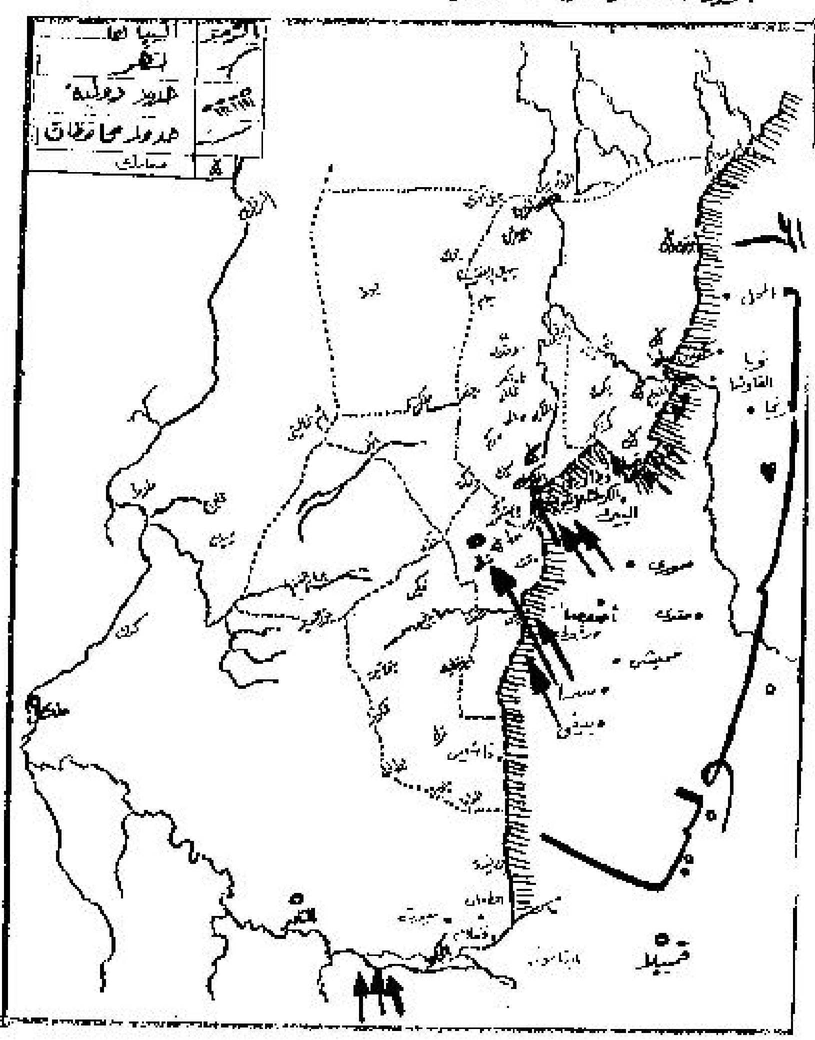
الفهرس

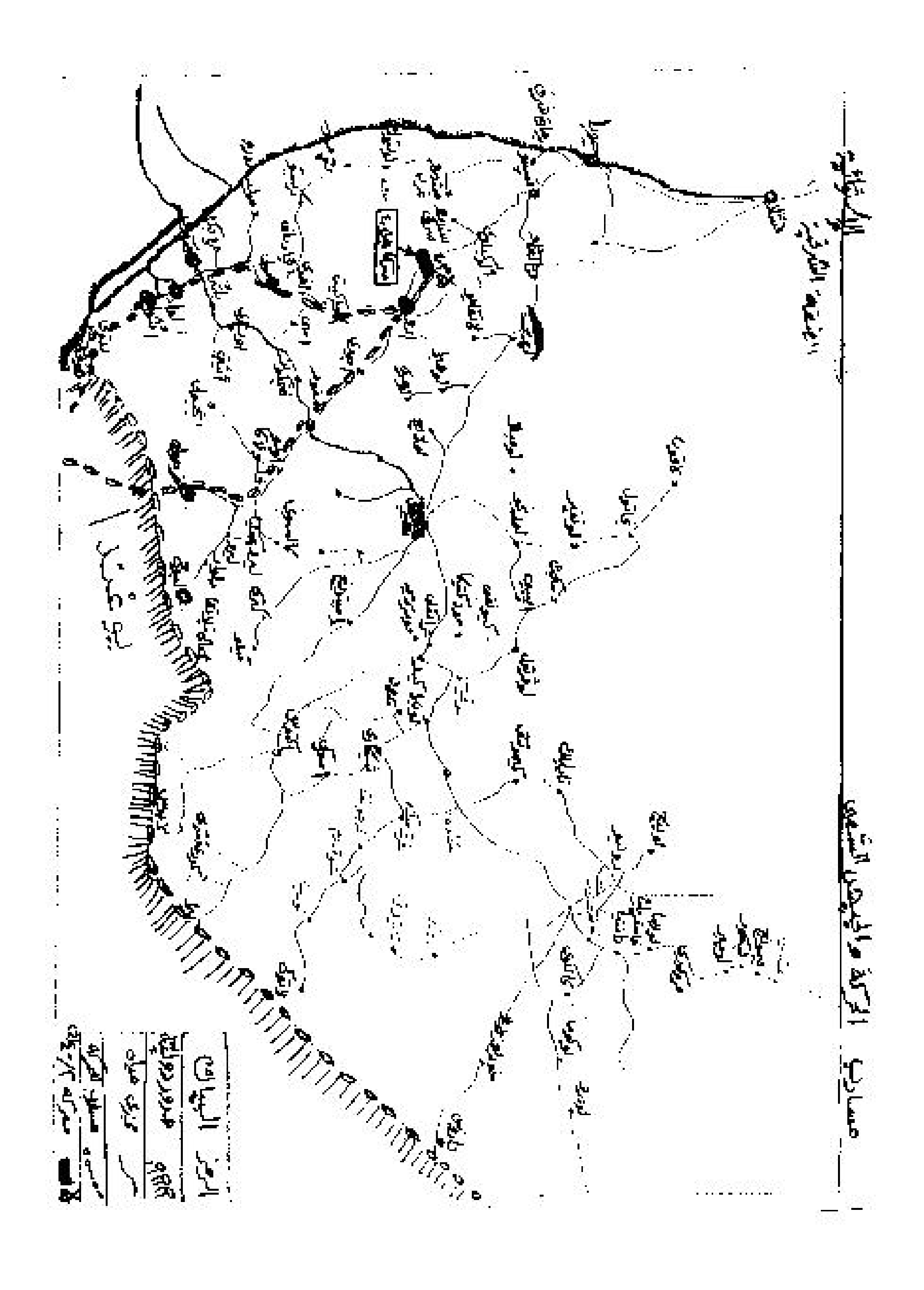
الفصل الرابع (نموذج الدولة الشاذة)



الحدود السودانية الأثيوبية
مراحل الغزو الإثيوبي للسودان
الرمز
البيان
حدود دولية
مدن
بورسودان
سواكن

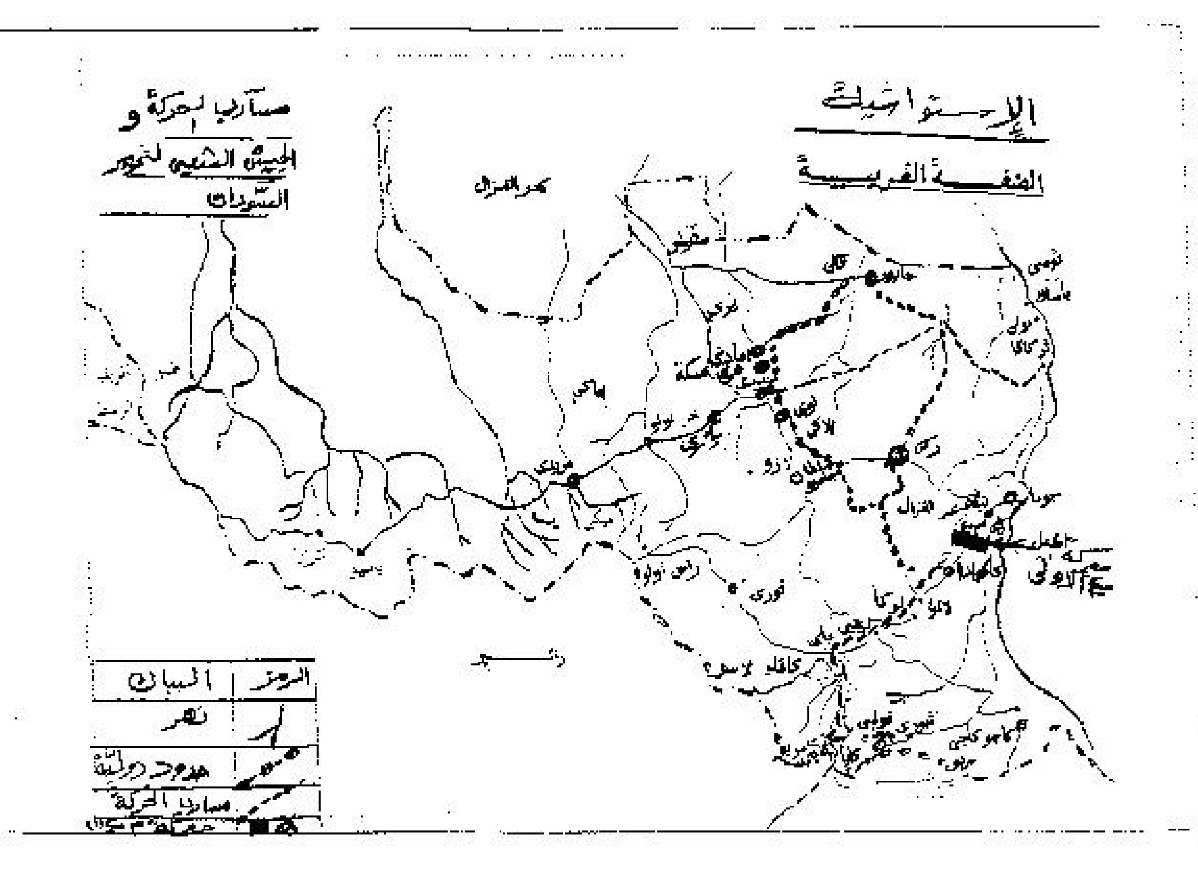
الحدود السودانية الإثيوبية عند ولايتي النيل الأزرق/أعالي النيل



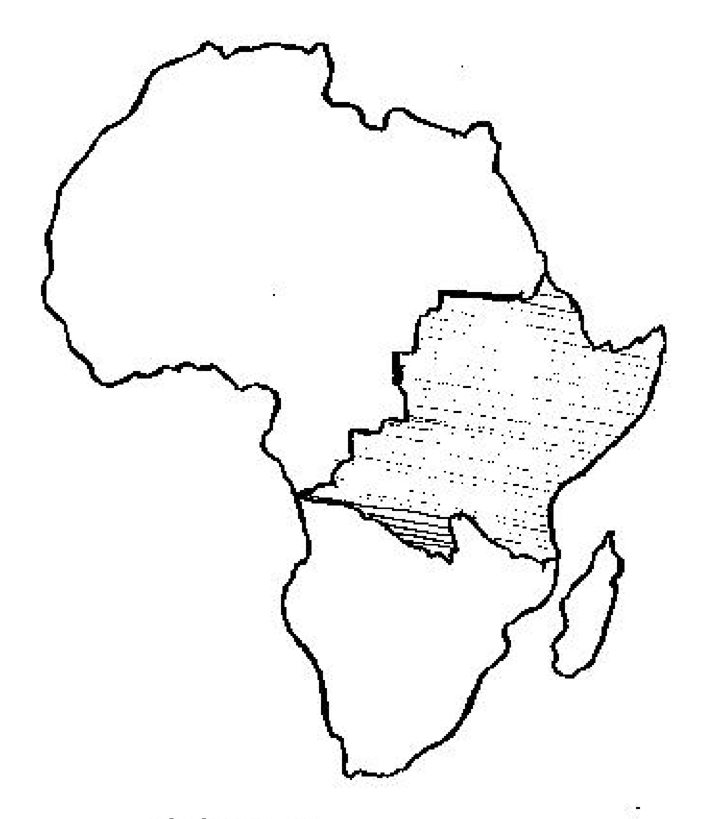


الخارطة المقترحة لأفريقيا




الإستوائية
الضفة الغربية
مسارات الحركة و الجيش الشعبي لتحرير السودان
بحر الغزال
الرمز
البيان
نهر
حدود دولية
مسارات الحركة

دولة القرن الذهبي العظيم

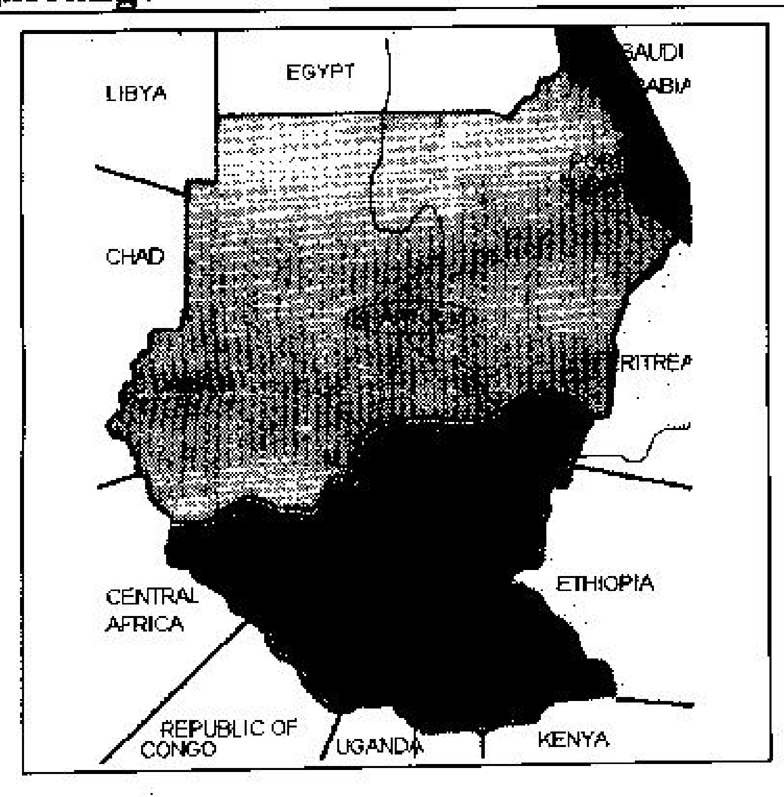


الدولة المقترحة من قبل يوري موسفيني/ رئيس يوغندا والولايات المتحدة
تشمل :

1/ السودان
2/ إثيوبيا
3/ إرتريا
4/ كينيا
5/ زائير
6/ رواندا
7/ بوروندي
8/ يوغندا
9/ تنزانيا

[redacted]

The New Sudan map, based on the Splm proposed (Unity) Confedral arrangement





المؤلف:

- أ . سناء حمد العوض
ابن عوف

- من مواليد الخرطوم وسط .
- خريج جامعة الخرطوم / كلية الإقتصاد - قسم العلوم السياسية ١٩٩٥ م
- دبلوم علاقات دولية - جامعة الخرطوم ١٩٩٦ م
- تحضر الآن لنيل درجة الماجستير
- عضو مؤتمر النظام السياسي ١٩٩١ م
- سكرتير الشئون السياسية بمجلة الجامعة
- باحث بالمركز القومى للإنتاج الإعلامى - قسم الدراسات والبحوث
-

هذا الكتاب

شهدت السنوات الأخيرة بدءاً من الثمانينات جدالاً كثيفا حول حقيقة الصراع الدولي خاصة بعد بروز نظرية النظام العالمي الجديد في بداية التسعينات ، ويرى الكثيرون أن التنافس الدولي صار محسوماً للمرة الأولى على أنه صراع للحضارات والثقافات .. وبصورة أدق حصر في الخوف من قبل حضارة مادية حديثة وقوية هي (الحضارة الغربية ذات الأصول المسيحية - اليهودية) وحضارة عتيقة عميقة تحمل مقومات كبرى للنهضة هي الحضارة الإسلامية ..

وتوافق مع انتفاء المقدرة على المناورة بعد إنهيار الاتحاد السوفيتي وانفراد الولايات المتحدة بالساحة الدولية حدوث التغير السياسي الحضاري في السودان في صبيحة ٣٠ / يونيو ١٩٨٩ م حيث دخلت العلاقات السودانية الأمريكية بعدها مرحلة جديدة في تاريخها مغايرة تماما لما سبق .. تحول السودان فيها من دولة هامشية في الإستراتيجية الأمريكية أوائل الستينات إلى دولة هامة مصنفة ضمن هلال الأزمات الذي يشمل السودان - العراق - إيران وآخرين ..

وذات المرحلة شهدت تباينا كبيرا من التعامل الأمريكي مع السودان ما بين الانفراج والموضوعية حينما تلوح بوادر مصالح اقتصادية تتأثر إيجابا أو سلبا .. وما بين الصرامة والتشدد حينما يشتعل الخوف الحضاري .. حيث يرى الأمريكيون أن ما يحدث في السودان إن نجح ونما فهو بداية النهاية للحضارة الغربية ، وبداية لصحوة إسلامية .. وهذا عين ما يخشاه الغرب ..ويتناول هذا الكتاب بالدراسة والتحليل العلاقات السودانية الأمريكية البعيدة عن الشفافية عبر كوة الحضارة ومفاتيح المصلحة .